

كائنات ليل سرمدى

رواية



خالد السروجى

كائنات ليل سرمدى

* كائنات ليل سرمدى
* رواية : خالد السروجى
* (331)

* التدقيق اللغوى : عادل سميح
* تصميم الغلاف : عمر جهان

* الطبعة الأولى : يناير ٢٠٠٣
* رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٣٥٥٦
الترقيم الدولى :
977 - 305 -373 - 3

* المراسلات : باسم مدير التحرير
على العنوان التالى :
١٦ أ ش أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى : ١١٥٦١

الشركة الدولية للطباعة والنشر
ت : ٨٣٣٨٢٤٠

كائنات ليل سرمدى

رواية

خالد السروجى



روايــة



إهداء

إلى الوطن الذى نحبه ويعذبنا

خالد السروجى

الحارث صدّيق بكير

في ذلك اليوم أنهى الحارث عمله بالمكتب فى وقت متأخر ، وكانت كثرة القضايا وأحاديث الموكلين قد أرهقت ذهنه ، وهو ماجعله يؤثر ترك سيارته أمام المكتب ليعود إلى منزله القريب سيرا على الأقدام ؛ التماسًا لمتعة الهدوء فى الشوارع الخالية . . الهدوء يغلف الهواء بغشاء رقيق نافذ يلامس بؤر الإجهاد فى ذهنه المكدود فيذيبها . . لفترة قصيرة ظل يتسمَّع وقع خطواته على أسفلت الشارع الخالى ، أسلمه ذلك الوقع الرتيب إلى حلم يقظة : صفية . . حبيبة القلب والزوجة المنتظرة . . حلم سنوات طويلة من الحب الصامت والأمل المحبوس فى الصدر . . ها هى الأمور تسير كما كان يتمنى . . شهور قليلة هى التى تفصله عن اجتماعهما فى بيت واحد . . ابتسم عندما تذكر قطعة القماش التى أهداها له جده الحاج « بكير » لتكون « بدلة » عرسه . . تخيل نفسه إلى جانب صفية

فى حفل الزفاف فاتسعت ابتسامته . . تقلصت ابتسامته شيئًا فشيئًا وعاد يتسمع وقع خطواته على أسفلت الشارع . . الحديث الذى تم أول أمس فرض نفسه بقوة على أفكاره . . والده وعمه عبد الوارث أصرَّا على أن يرشح نفسه فى الانتخابات القادمة . . كان يعرف السياسة من زاوية المبادئ والأفكار ، ولكنه يجهلها كلعبة لها قواعد وحسابات ، وهو ما يجعله يترد فى القبول .

قال لوالده وعمه

- « للانتخابات أهلها وأنا لست منهم » .

قال عمه عبد الوارث :

- « أنت خير من يمثل دائرتك وأهلك » .

- « لا قبل لى بمناورات السياسة ولا خبرة بحساباتها » .

- « اترك هذه الأمور لنا . . . وافق فقط » .

ظل الحارث يناور عمه ووالده ، حتى تدخَّل جده الشيخ بكير بصوتٍ آمر .

- « لقد اتفقت كلمتنا على نزولك .. لقد وعدت « البلديات » بذلك فلا تجعلنا صغارا » .

أفاق الحارث من خواطره وقد اقترب من منزله .. سمع صوت محرك سيارة يمزق غشاء السكون الرقيق .. شعر فجأة بأن السيارة خلفه . عندما التفت وجدها تسير بسرعة مجنونة .. وقبل أن يتفاداها ، كانت قد أطاحت به فى الهواء .

مراد محمد شاكر

تذكر مراد ما قالته أمه وهو يتوجه بالسيارة إلى بيت عمه :

- « علمت أنك تحوم حول « فتنة » زوجة عمك المزيفة » .

- « المزيفة » ؟

- « نعم .. زواج مزيف قائم على المصالح .. تزوجته لتضمن حقها فى أعمال عمك المريبة » .

- « وهل أجبرته على الزواج منها » ؟

- « أوقعته الفاجرة فى حبالها وسوف تلفظه لفظ النواة عندما تبلغ مرادها » .

- « الفاجرة » .

- « هل غضبت من أجلها » ؟

- « لا ولكن من يسمعك يظن أنها تلعب بذيلها » .

- « وهل توقف ذيلها عن اللعب لحظة واحدة » .

***

فتحت فتنة الباب ، ونظرت إلى مراد نظرة اندهاش ، ثم صاحت :

- « ابن سلفتى العزيزة . . مرحبا » .

- « جئت أسأل عن أخبار عمى . . متى يعود من السفر » ؟

قادته إلى حجرة الصالون وهو يتمتم :

- وفى نفس الوقت أسأل عن زوجة عمى » .

- « ولماذا لا تسأل عن زوجة عمك الحقيقية « أم الخير » ؟

- « أم الخير لا تحتاج إلى رعاية أحد » .

ثم أردف ضاحكا :

- « أم الخير هى رجل العائلة . . ونحن نعيش جميعا فى ظل رعايتها » .

ضحكت فتنه ضحكة مثيرة ، أيقظت الذئب النائم بداخله .

قالت بعتاب :

- « التى تحتاج إلى رعاية هى زوجة عمك المزيفة » .

حاول مراد اصطناع الدهشة :

- « المزيفة » ؟

- « أليست هذه أقوال أمك التى تطاردنى بها فى كل مكان » !

قال معتذرا :

- « أمى تحب القفشات دون قصد إساءة » .

نظر إلى صدرها العاجى وهو يقول :

- « نحن نطمع فى سعة صدرك وغفرانك » .

قالت بدلال :

- « ومن أنا حتى أغفر أولا أغفر » .

وضع يده على كتفيها :

- « أنت « فتنة » . . أرق وأجمل من رأيت » .

سحبت نفسها برفق :

- « وأنت « دحلاب » كأمك » .

قال معاتبا :

- « دعينا من أمى . . ألن أجد لديك ساعة صفاء » ؟ .

- « اشرب كأسًا وانصرف » .

- « بل أشرب زجاجة كاملة » .

قالت بلهجة فطن إلى معناها :

- « إننى أنتظر ضيوفا بعد ساعتين » .

قال بخبث :

- « ساعتان مدة لا بأس بها » .

***

مدت « فتنة » يدها تلتقط قميص نومها ، ثم قامت إلى المرآة لتعيد تصفيف شعرها ، وظل مراد مددا على الفراش . أشعل سيجارة وأخذ ينفث دخانها فى هدوء وتلذذ . قالت « فتنة » وهى لاتزال تصفف شعرها :

- « يمكنك اليوم أن تتعرف على شخصيات هامة على مائدة البوكر » .

- « لست مستعدا بما فيه الكفاية . . معى حوالى ثلاثمئة جنيه فقط » .

- « زيارة إلى ماما « أنصاف » تستكمل بها نقودك » .

قام إليها وقبلها :

- « سأعود ياحبيبتى . . سأعود بسرعة » .

***

أحس مراد بنسمة الليل تتسلل إلى وجهه الدافئ ، فزادته انتشاء ، ركب سيارته وتمهل لبعض الوقت حتى سيطر على مقعد القيادة . . وعندما اطمأن إلى جلسته شعر بأنه يطير . . أحس بلذة كبيرة وهو يسابق السيارات وراءه . . ضحك فى نفسه وهو يقول :

- « جميعهم متخلفون » .

إشارات المرور لم تعد تعنيه . . لم تعد للألوان أى دلالة . . اقترب من التقاطع المألوف بالقرب من منزله . فاجأته الإشارات الحمراء وقد هم بالعبور . . لم يتوقف وإنما ضغط على بدال السرعة بكل قوة . . عبر الشارع بسرعة بعد أن تفادى سيارة نقل كادت أن تدهسه .

دخل شارعه بسرعة غير عادية . . وشعر بالسيارة تخرج عن سيطرته . . بحثت قدماه عن بدال الفرامل . . وجده ثم أفلت منه . . أعاد المحاولة مرة

ثانية فداست قدماه على بدال السرعة .. فوجئ بالسيارة تقفز بقوة .. أحس بأنه صدم جسما .. انطلقت صرخة مروّعة .. تمكن أخيرًا من الفرامل .. نزل بسرعة إلى الشارع .. كان الجسم مددا على أرض الشارع .. شعر بالذعر يسرى فى كيانه .. طارت نشوة الخمر من رأسه . تأمل الجسد المسجى على الأرض ..

صرخ :

- « يا إلهى .. إنه الحارث صدّيق » .

أطلق مراد ساقيه للريح ، وكان يجرى بسرعة لم يعهدها .. المشاهد تتوالى أمام ناظريه كما تتوالى المرائى أمام مسافر القطار .

لمح بعيدًا سيارة أجرة تُنزل راكبا .. دخل بسرعة أدهشت السائق .

قال فى عجل :

- « إلى بور سعيد « ياسطى » » .

- « آسف لا أستطيع » .

- « خذنى إلى موقف الأقاليم » .

***

ركب مراد سيارة الأجرة وهو لا يزال مذهولا مما حدث . . كان يتمنى لو كان ذلك حلما أو كابوسا . . شريط طويل من الأحداث يمر أمام ناظريه . . يستعرض علاقته بالحارث . . كيف انتهت بالقتل ؟ لم يكن أمام مراد سوى أن يذهب إلى بور سعيد . . هناك أصدقاء الأسرة من التجار . . وهناك سوف يتولون حمايته حتى يتم تدبير الأمور . ساقته قدماه إلى صديقة لأمه بينهما تعامل تجارى .

فتحت المرأة الباب بتبرم شديد . . كان النوم لايزال يداعب جفونها .

عندما تعرفت عليه ، تهللت أساريرها ، وصاحت مرحبة .

- « أهلا بابن الغالية » .

قطع عليها عبارات الترحيب :

- « أريد أن أنام » .

ساقته إلى غرفتها .. وضع جسده على الفراش .. واستسلم لنوم مضطرب ، وفى أثناء نومه كانت تتراءى له صور الحاج صديق وعبد الوارث يتربصان له ليقتلاه .

***

عندما أفاق كان الليل قد حل .. التقت أنفه رائحة عطر مألوف لديه .. أحست المرأة بحركته فدخلت عليه وهى فى أبهى زينة .

سألته :

- « أنمت جيدًا » ؟
- « الحمد لله » .
- « لم أخرج اليوم انتظارا لطلباتك » .
- « ليس لى طلبات .. سأعود اليوم » .
- « ولم العجلة » ؟
- « ورائى مصالح » .
- « سوف أُعد لك الطعام » .

وسرعان ما أعدت المرأة الطعام .. جلس يأكل

بنهم شديد وكأنه لم يأكل منذ عام . . عزم أمره على الذهاب للقاهرة ، حيث عادل « باشا » الصديق الحميم لأمه والمسئول السابق . قال لها بعد أن شبع :

- « هل أجد لديك نقودًا » ؟

- « كم تريد » ؟

- « ألفان » .

أحسّت المرأة بغريزة التاجر بأن النقود ربما لن تعود :

- « ألا تنتظر إلى الغد فأعطيك ما تريد » .

- « لا . . لا أستطيع الانتظار » .

- « ليس لدى سوى خمسمئة جنيه » .

- « لا بأس » .

* * *

انطلق مراد إلى شارع الهرم حيث ڤيلا « عادل باشا » صديق أمه . . واستمع إليه الرجل باهتمام وطلب منه ألا يغادر الڤيلا لأى سبب من الأسباب حتى يتم توصيله إلى أخواله بدمنهور أو يتم التوصل

إلى حل للمشكلة . . ولكى يطمئن قلب مراد استطاع « عادل باشا » أن يسمعه صوت أمه « أنصاف » على سماعة التليفون . وكانت هى وزوجها شاكر قد انتقلا إلى ڤيلتهم بالعجمى حتى تهدأ الأمور .

استطاع عادل باشا إيصال مراد إلى أخواله بدمنهور . وهناك استطاعوا أن يخفوه بأمان ، وأن يغيروا مكانه من وقت لآخر تحسبا لإمكان اكتشافه . . كان مراد يعيش كالفأر داخل جحره . يصاب بالذعر من مجرد سماع وقع الأقدام . . كان يعلم حق العلم أن هذه المرة غير المرات السابقة . . فالمرات السابقة لم يكن فيها دم ، وكان والده محمد شاكر يسوِّى الأمور بأمواله . ولكن هذه المرة مختلفة . .

الشيء الوحيد الذى كان يعزى مراد فى وحدته هو سماع صوت أمه على سماعة التليفون .

كان يتنفس الرعب ، منتظرا فى أى لحظة شخصا متربصا به ليقتله .

***

لم يصدق مراد أذنيه ، فطلب من أمه أن تعيد ما سبق أن قالته :

- « المسألة انتهت . . وستقدم لهم الكفن » .

- « لا أستطيع أن أصدق . . سيقبلون الكفن أخيرًا » . أتاه صوتها ضاحكا :

- « لسنا بالشىء القليل فى البلد يا ولدى » .

- « ولكن كيف استطعتم يا أمى » ؟

- « عندما تصل ستعلم . . متى ستأتى » ؟

- « مادام الأمر كذلك ففى الصباح إن شاء الله » .

أغلق مراد سماعة التليفون وهو يكاد يطير فرحا . ظلت كلمات أمه ترن فى أذنيه كأحلى موسيقا سمعها فى حياته « المسألة انتهت » و « ستقدم لهم الكفن » . كانت أسرة شاكر قد بذلت محاولات دائبة للتوصل إلى حل للمشكلة ، فقد استطاع سراج الدين عم مراد الأكبر وعميد العائلة أن يحرك بأمواله حملة صحفية ضد عادة الثأر . . طالبت الجهات المسئولة وعلى رأسها الأمن اتخاذ عقوبات رادعة ضد عادة الثأر

باعتبارها عادة قبلية متخلِّفة تؤدى إلى الفوضى ، لأن فى وجود الحكومة المركزية والقانون يمتنع على الأفراد أن يقتصوا لأنفسهم بأنفسهم .

واستضافت الصحيفة عددا من كبار رجال الدين وأساتذة فى مجالات الاجتماع والتاريخ والاقتصاد أدلوا بآرائهم فى المشكلة .

ومن ناحية أخرى فقد استطاعت جهات الأمن حمل الحاج بكير ، وولده الحاج صديق والد الحارث على قبول أن يأتى مراد حاملا كفنه كحل للتغاضى عن الثأر .

* * *

تنفَّس مراد الصعداء بعد خروجه من المجلس العرفى للصلح ؛ فلقد كان الأمر كابوسا ، ولكن هاهى الحياة تعود إلى صفائها ، وآن له أن يعود ليستمتع بها بعد كل هذا الحرمان من المسرات . . ففى اليوم التالى لتقديمه الكفن اتصل مراد بأفراد شلته ليدعوهم للسهر على نفقته احتفالا بمرور الأزمة .

ولكن الأيام كانت تخبئ مسرات أكثر . . فقد حُفظ التحقيق مع مراد فى قضية مقتل الحارث بعد أن تقدم « إبراهيم برغوت » إلى النيابة ؛ ليعترف بأنه هو الذى قتل الحارث بدون قصد وهو عائد بسيارة مراد من عند الميكانيكى ، حيث كان يقوم بإصلاح عطل فيها ، وأن مراد اضطر للهروب لاعتقاد أهل الحارث بأنه هو الذى صدمه .

لواحظ

تحاملت عزيزة أم لواحظ على نفسها عدة مرات لتواظب على موعدها الأسبوعى لتنظيف منزل محمد شاكر . . كانت « أنصاف » تغدق على عزيزة وترتاح لثرثرتها أثناء العمل ، كما كانت تأتمنها على بعض أسرارها .

وعندما أقعد المرض عزيزة ، قالت لها أنصاف وهى تدس فى يدها بعض النقود :

- « لماذا لا تأتى لواحظ لتساعدنى حتى يتم شفاؤك » ؟

- « البنت صغيرة ولا قبل لها بالمشقة » .

أومأت لواحظ برأسها علامة على الموافقة فظهر الارتياح على وجه عزيزة . وقالت :

- « إذا لم أتمكن من الحضور غدًا فسوف أرسل لواحظ » .

كانت لواحظ ابنة عبد القادر أحد مستخدمى محمد شاكر تنتظر تعيينات القوى العاملة بعد حصولها على دبلوم التجارة ، وتنتظر بفارغ الصبر عزت ابن عمها لتزف إليه بعد انتهاء فترة تجنيده . . وكان العمل لدى أنصاف فرصة للواحظ لكى تدَّخر شيئا من أجل زواجها ، كما أنه بأى حال من الأحوال أفضل من الجلوس بالمنزل .

* * *

عندما رآها مراد وهى تنظف ستائر المنزل بجلباب ممزق أسفر عن كنوز مفاتنها ؛ أجفلت ونزلت من على السلم . . سألها مراد . ونظراته تخترق فتحة صدر جلبابها . لأول مرة عن صحة أمها وأحوال أبيها . ووصلت أنصاف هذه اللحظة لتنهى الموقف المحرج ونظرت إلى ابنها نظرة ذات مغزى .

وأصبح مراد ينتظر ميعاد « لواحظ » الأسبوعى وقد تسلَّح فى اقترابه منها بالصبر والحذر . . وكان المرض قد طال بعزيزة وأصبح تردد لواحظ على

البيت بصفة دائمة . كان مراد يرصد تحركاتها فى المنزل انتظارًا للفرصة المناسبة .

ذات يوم قالت له أمه :

- « خالتك مريضة . . سأعودها الآن ولن أتأخر . . ساعة على الأكثر » .

بقى مراد فى المنزل بحجة المذاكرة ، وكان الدور على تنظيف حجرة الجلوس وضع مراد شريط فيديو وقام بالتشغيل . . دقت « لواحظ » الباب ، تشاغل عنها . . دقت الباب مرة أخرى ترك لها الحجرة معتذرا . . دخلت ولم تلتفت إلى عرض الفيديو فى البداية . . كانت العلاقة فى الفيلم تبدو عادية ثم تطورت إلى علاقات غرامية لفتت نظرها . . ازدادت العلاقات سخونة وأصبحت مثيرة . . التهبت بعنف . . تلاحقت أنفاسها مبهورة . . لم تر فى حياتها شيئا كهذا . . خيالاتها كانت بعيدة عما تراه الآن . . استغرقت فى متابعة الفيلم . . جلست على الأرض . . أخذتها أحلامها مع عزت . . لم تشعر بدخول

مراد . . أحست بلمساته . . أرادت أن تقاوم . . شل حركتها . . أرادت أن تصرخ . . جاءت صرختها كأنها من وادٍ سحيق . . أطبق عليها . . تململت . . استخدمت جماع قوتها فى محاولة جديدة . . بكت . . أسكتها بقبلاته . . سمعت وعودا خلابة . . أخذت الأرض تدور من حولها . . شهقت شهقة عميقة . . توقفت الأرض عن الدوران . . أرخى من قبضته عليها . . قام متثاقلا . . أغلق جهاز الفيديو . . وترك الحجرة .

* * *

راقبت عزيزة التغيرات التى اعترت لواحظ بقلق شديد . . أصبحت على غير عادتها سريعة الهياج كثيرة الاختلاء بنفسها . . ضبطتها أكثر من مرة وهى تبكى . سألتها مرة عندما رأتها تبكى :

- « ما بك يا ابنتى » ؟

أجابتها وهى تجفف دموعها :

- « أوحشنى عزت » .

حاولت لواحظ مقابلة مراد .. وتذكيره بوعده ولكنه كان يتهرب منها دائما .. لا تراه فى أيام التنظيف الأسبوعى .. فكرت أن تتحدث إلى أنصاف ولكن الحياء وخيانة الشجاعة منعاها .

لاحظ عزت التغير الذى طرأ على لواحظ سألها بقلق :

- « ماذا بك .. لست كعادتك » ؟

- « لا شىء .. مجرد الملل والفراغ فى انتظار الوظيفة » .

كان العذاب يسحقها تحت أقدامه .. ليس أمامها إلا أن يتزوجها وأن يستر فضيحتها ، ولكن ماذا لو لم يحدث ؟ .. كيف تواجه أمها ، وعزت والناس ؟ ... حياتها أصبحت جحيما .. أحلامها كوابيس .. تقوم أحيانًا من نومها فزعة تصرخ ، حتى أيقنت أمها بأن هناك شيئًا خطيرًا فى حياتها .. حاصرتها بشدة حتى أنطقتها .

- « ومن النذل » ؟

- « مراد بن أنصاف هانم » .
لطمت عزيزة على وجهها :
- « يافضيحتنا . سأذهب إلى أمه وسأقبل يديها حتى تستر فضيحتنا » .

***

قابلت أنصافُ عزيزة بابتسامة ودودة :
- « حمد الله على سلامتك » .
- « أطال الله عمرك ياست الكل » .
- « كيف حال زوجك وابنتك » ؟
- « يقبّلون يدك ياست أنصاف » .
دام الصمت بينهما ، فقطعته أنصاف قائلة :
- « هل تحتاجين إلى نقود قولى ولا تخجلى » .
- « ليست مسألة نقود » .
- « فماذا إذًا » ؟
- « ابنك مراد ياست أنصاف » .
هبت أنصاف جزعة :
- « ماله . . أحدث له مكروه » ؟

- « لابعد الشر . . . المكروه حدث لنا وليس له » .
- « لا أفهمك ياعزيزة » .
- « ابنك مراد ياست أنصاف اعتدى على ابنتى لواحظ » .

انتفضت أنصاف :

- « ما هذا الهراء ؟ . . ابنى لا يفعل ذلك » .
- « هذا ما حدث ولا مفر من زواجه منها » .
- « هل جننت ياعزيزة ؟ ابنى مراد يتزوج لواحظ » .
- « سيصحح غلطته ويسترنا ياست أنصاف » .
- « أنتِ مجنونة . . نصابة . . اذهبى قبل أن ألقىَ بك من الشباك » .

***

قصَّت عزيز على ابنتها ما دار بينها وبين أنصاف ، قالت من بين دموعها :

- « الموت أهون علينا من الفضيحة » .

ظلت لواحظ ساهمة ذاهلة . . لم تنبس بكلمة أو تذرف دمعة . . كانت عيناها تلمعان ببريق مخيف .

قامت تجرى فجأة إلى الحمام . .أغلقته عليها بسرعة . .

قامت عزيزة فى إثرها تجرى :

- « لواحظ . .افتحى الباب . . ماذا تفعلين » ؟

لم تتلق عزيزة ردا ظلت تدق الباب . . حاولت كسر الباب فلم تفلح . .

ظلت تصرخ وتدق الباب . . استعانت بالجيران . . استطاعوا كسر باب الحمام .

. . صرخت عزيزة صرخة مروعة لرؤية الدم النازف من رقبة لواحظ ومعصمها .

عزت عبد الرحيم

أنهى عزت فترة تجنيده وبدأ ينتظم فى ورشته ؛ ليعوض مافاته . . كان عليه أن يعمل بأقصى طاقته ليدبر نفقات زواجه من لواحظ ابنة عمه ، ففترة الخطوبة بدأت تطول .

كان عزت قد تخرج من كلية التجارة ورفض تعيين الحكومة مؤثرًا العمل بالحرفة التى تعلمها .

لاحظ عزت أن هناك تغيرًا فى سلوك خطيبته لواحظ . . كانت وهى معه دائمة الشرود سريعة الهياج على غير عادتها ، حتى ابتسامتها انطفأت ، وأصبحت باهتة بلا لون ولا معنى .

قال لها يوما :

– « أليس الأفضل أن نعقد القران الآن » .

انتفضت كمن لدغها عقرب :

– « لا ليس الآن . عندما تكون جاهزًا سيكون

عقد القران مع الدخلة » .

فوجئ عزت بهذا الموقف الذى لم يعهده من قبل من لواحظ . والذى لم يستطع فهمه هو أن ترفض لواحظ عقد القران بهذه الحدة ، وهى التى عرضت عليه هذه الفكرة قبل بضعة شهور . ولكنه آثر الانتظار حتى تنتهى فترة تجنيده .

***

صرف عزت كل همه وجهده إلى العمل ؛ ليقرب البعيد ويختصر الوقت إلى الزواج ، ولكن سلوك لواحظ تجاهه كان يقلقه بشدة . . أصبحت تعامله بفتور ، بل وأحيانًا يكون بالمنزل ولا تجالسه بحجة القيام ببعض الشئون المنزلية ، ولولا قصة الحب التى تربطهما لقال إنها تسعى لتطفيشه .

كانت لواحظ تعيش فى حالة من الحزن والاكتئاب . . حاولت البوح لعزت بسرها ولكن شجاعتها كانت تخونها . حاولت بشتى الطرق تأجيل الزواج ، عسى أن تجد مخرجًا لأزمتها ، ولكن عزت

فاجأ الجميع يومًا بأنه مستعد للزواج وأنه لن يصبر أكثر من ذلك .

* * *

هرع عزت إلى المستشفى . . دخل على لواحظ وهو فى حالة جزع شديد . عندما رأته لواحظ أخفت رأسها بين كفيها وبكت . . اقترب منها ووضع يده على كتفها وقال بحنو شديد :

- « لماذا يالواحظ . . . لماذا » ؟

أجشهت بالبكاء .

قالت عزيزة :

- « اتركها الآن . لى كلمة معك » .

اصطحبته خارج الغرفة .

عندما عاد عزت إلى الغرفة ، كان رأسه منكسًا ، ووجهه مكفهرًا . . اقترب من لواحظ وقبَّل جبينها ، قال بأسى :

- يالواحظ . . لن تذبحى مرتين » .

* * *

خرج عزت من المستشفى كالمجنون فتش عن مراد فى كل مكان ولم يجده .. واتصل علم الشمندى ابن عم الحارث بما حدث للواحظ وبما ينويه عزت .. هرع إليه فور علمه بنيته فى قتل مراد .

قال الشمندى :

- « " الجته " لنا .. ابعد عن مراد » .

صرخ عزت :

- « وشرفى » ؟

صمت الشمندى برهة .. ثم عاد يقول :

- « سيكون لك دور .. ولكن لا تفعل شيئًا من وراء ظهرنا » .

عادل محمد شاكر

كان عادل أول فرحة محمد شاكر وبهية بالولد ، أحاطه بكل أنواع الحب والرعاية ، وكان الأثير والمدلل لدى محمد شاكر ، حتى تزوج بأنصاف وأنجب منها مراد فتحول عن عادل . .

ولم يستطع عادل وقتها أن يستوعب الأمر فكان البكاء هو متنفسه ووسيلة احتجاجه على هجر والده له ، وكان ذلك وما تلاه مقدمة لتطور شخصيته نحو الانطوائية ، والشعور الدفين بالخوف من الناس ومن الغد .

عندما أصبح عادل فى المرحلة الثانوية وجد لزامًا عليه أن يعمل فى العطلة الصيفية ليتحمل مسئوليته فى الإنفاق على نفسه ، حتى لايضطر إلى أن يطلب من والدته مصروفا ، وهو يعلم عدم كفاية المخصص الشهرى الذى يخصصه لهم والده ، وكان ينفر من مجرد فكرة اللجوء إلى والده فى طلب النقود . .

واستطاع أن يوفر من عمله فى العطلة الصيفية فائضًا قليلاً كان يسلمه إلى والدته فى نهاية العطلة .

وعندما نجح عادل فى الثانوية العامة كان مجموعه يؤهله للالتحاق بكلية الهندسة ولكنه آثر الانتساب إلى كلية التجارة ؛ ليواصل العمل إلى جانب الدراسة فى الجامعة ، وقد استطاع أن يوفر بعمله أثناء الدراسة دخلاً لا بأس به ، وكان من الممكن أن يجعله يستغنى عن مخصص والده الشهرى ، ولكن عندما فاتحته أمه بهية فى ذلك رفض بشدة قائلا لها :

- إنها الفرصة الوحيدة التى نراه فيها أنا وأخواتى فى أول كل شهر .. فإذا رفضنا ما يعطيه لنا ، فسينقطع عن السؤال عنا تماما .

وفى الجامعة ، زامل عادل ليلى أخت الحارث الكبرى ، وكانت تعرفه جيدًا كأحد أبناء حيها .

وقد ربطت بينهما فى الجامعة صداقة متينة ، سرعان ما تحولت إلى حب صامت نظيف لم يجد الجرأة على الاعتراف به ، فاكتفى بمجرد الحديث

معها فى أوقات الراحة بين بعض المحاضرات ، التى كان يختلس وقتها من وقت عمله .

* * *

عندما حصل عادل على بكالوريوس التجارة ، استجمع جرأته يومًا ليفاتح الحاج صديق فى طلب يد ليلى .

سأله الحاج صديق :

- « وهل يعلم والدك » ؟

- « نعم ولكنه خشى أن ترفض فطلب أن أفاتحك أولاً » .

كان الحاج صديق يحب عادل ويقدر كفاحه فى رعاية أمه شقيقتيه ، كما أنه كان يعلم استقامة خلقه ، ولكن الأمر ينطوى أيضًا على نسب لعائلة شاكر .

قال الحاج صديق بعد فترة صمت طويلة :

- « الأمر يحتاج إلى تفكير يابنى . . . اترك لى أسبوعًا » .

عندما طرح الأمر داخل العائلة ، قاد الحاج عبد الوارث ، عم ليلى لواء المعارضة .

قال عبد الوارث : « الشواكرة ليسوا أهل أصول » .

قال الحارث وكان يميل إلى عادل :

- « الولد من معدن آخر . . . ولا يحمل من الشواكرة سوى الاسم » .

قال الحاج صديق موجهًا كلامه إلى والده الحاج بكير :

- « ما رأيك ياحاج » .

قال الحاج بكير :

- لقد قال الرسول ﷺ « إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه » .

* * *

عندما انقضى الأسبوع ، عاد عادل إلى الحاج صديق وهو يقدم رجلًا ويؤخر أخرى خوفًا من رفض الحاج ، ولكن الابتسامة ملأت وجهه عندما قال له الحاج :

- « بعد أن تنتهى فترة تجنيدك . . نقرأ الفاتحة إن شاء الله .

* * *

كانت فترة تجنيد عادل على وشك الانتهاء عندما قامت حرب أكتوبر . وفى اليوم السادس من الحرب عاد عادل متدثرًا بالعلم .

بهـــــــــية

عندما تزوجت بهية من محمد شاكر كان لايزال موظفًا صغيرًا فى محلات « هانو » ، وكان مرتبه ضئيلاً لايكاد يكفى متطلبات الحياة ، ولكنها بقدرتها الفائقة على التدبير استطاعت أن تسيِّر الأمور ، وعلى الرغم من قسوة حياتها فإنها لم تشكُ أو تتذمر أو تطالب زوجها بأى مطلب كانت تعرف أنه لن يستطيع أن يوفره لها . ولم يكن يقلل من بؤس هذه الحياة الخالية من المتع والمباهج سوى الأولاد ، فأنجبت منه على مدى ست سنوات (عادل وأمل وصابرين) كانوا ملاذها عندما تضيق الدنيا أمامها .

لم يكن يقلق بهية من محمد شاكر سوى تطلعاته الزائدة ورغبته التى لا حد لها فى الحياة الموسرة ، وكانت بفطرتها تخشى عليه من الانحراف ، خاصة والبون شاسع بين حقيقة موارده وطبيعة أحلامه . وقد تحقق ظنها عندما عاد إليها يومًا يحمل ألفا من

الجنيهات . كان يحكى لها كثيرا عن تعاملات بعض زملائه فى « هانو » مع الموردين وما يعود عليهم من ذلك من أموال .

سألته مذعورة :

- « من أين أتيت بهذه الأموال ؟ » .
- « هذا رزقك ورزق أولادك » .
- « سألتك من أين أتيت بها » .
- « لا دخل لك بهذا » .
- « هذه الأموال حرام » .
- « ليس من حقك التدخل فى عملى » .
- « لن يأكل عيالى من الحرام » .

واستطاعت بهية بالضغط على « محمد شاكر » أن تجبره على إعادة هذه الأموال ، وحصلت منه على تعهد بأن لا يتكرر ذلك مرة أخرى . وقد فعلها محمد شاكر وهو متضرر .

***

عندما توفى زوج خالة بهية ، أرسلت إلى أنصاف ابنة خالتها لتقيم عندها بضعة أيام ، فى محاولة منها

للتسرية عنها ، فأحاطتها هى وزوجها محمد شاكر بكل صنوف الرعاية والتسلية حتى بدأت تخرج من حزنها .

وفى هذه الأثناء أحست بهية بغريزة المرأة بأن شيئًا مريبًا يحدث لا تدرى ما هو بالتحديد ، ولكنها بدأت تقلق من وجود ابنة خالتها ، وإن لم ينعكس ذلك على علاقتها بها ، فظلت تعاملها كأحسن ما يعامل الضيف .

ويومًا افتعلت أنصاف مشاجرة مع بهية لتخرج من البيت مدعية بأن ابنة خالتها بهية طردتها من المنزل لشعورها بالغيرة منها . وأخذ محمد شاكر جانب أنصاف متهمًا زوجته بأنها تغير من ابنة خالتها ، وارتفعت حدة الجدال بين شاكر وبهية حتى أعلن شاكر أنه سيتزوج من أنصاف ليعيد إليها كرامتها بعد أن طردتها بهية من بيتها شر طردة . . وعلى إثر ذلك جمعت بهية ملابسها وأولادها وذهبت إلى بيت أمها . ودخلت أنصاف منزل محمد شاكر كزوجة وسط إحساس بالزهو والانتصار .

* * *

لم تستطع بهية البقاء طويلاً فى بيت أمها ، فالجنيهات القليلة التى تقبضها أمها أول كل شهر من معاش والدها الراحل لاتكفى كل هذه الأفواه ، فاضطرت بهية إلى العودة الذليلة إلى منزل زوجها ، لتذيقها أنصاف أسوأ أنواع الذل والإهانة ، ولكنها بقيت صابرة من أجل أولادها الذين لا تستطيع أن تنفق عليهم بمفردها . وبمرور الأيام اختفت النضرة من وجهها وظل جسدها ينحل وينكمش حتى ظن البعض أنها ستتلاشى يومًا ما ، وأصبحت لا تحدث أحدًا سوى أولادها ، ولم يرغب محمد شاكر أو أنصاف فى محادثتها . وكان زوجها قد امتنع عن فراشها منذ زواجه بأنصاف مكتفيًا بالزوجة الصغيرة الجميلة .

وبعد مولد مراد بنى محمد شاكر شقة جديدة فى المنزل ليسكن فيها مع أنصاف ، وترك الشقة القديمة لبهية وأولادها ، وكانت الأموال قد بدأت تتدفق عليه بغزارة منذ تزوج أنصاف ، وعلى الرغم من ذلك فقد خصص مبلغًا ضئيلاً حددته أنصاف بنفسها لمعيشة بهية وأولادها .

وأغلقت بهية بابها على نفسها ، فلم تخرج منه لتزور أحدًا ، كما لم ترحب بزيارة أحد لها .

ولم يسمع أحد من أبناء الحى لها صوتًا ، إلا عندما استشهد ابنها الأكبر عادل فى حرب أكتوبر ، وبعدها لزمت الصمت . ونسيها الجميع فلم يعد أحد يذكرها بخير أو بسوء .

سلوع بنت وديدة

قالت وديدة يوما وهى تحاول أن تخفى زهوها :

- « خرطها خراط البنات » .

ردت جارتها أم زينب :

- « تكاد تشبهك وأنت صغيرة .. لولا ما ورثته من أبيها من سمرة اللون واكتناز الشفتين » .

قالت وديدة بحسرة :

- « وزناخة العقل أيضا .. لم يورثنا سوى التعاسة » .

قالت أم زينب وهى تنظر إلى قوام سلوع أثناء تطاولها على أحد الزبائن :

- « جمالها هو مكرها ودهاؤها » .

ثم أكملت بعد هنيهة :

- « لا تسميها سلوع فيميل بخت البنت .. سمها باسمها الحقيقى » .

- « كان أبوها أول من هجر اسم زكية وسماها سلوع » .

كانت « سلوع » فى صغرها حادة الملامح عجفاء ، لم يتصور أحد أن توصف يوما بالملاحة ، وكانت تساعد أمها فى بيع الخضار فاكتسبت خشونة وقدرة فائقة على التحدى والمواجهة ومشاكسة الزبائن .

وعندما بلغت السادسة عشرة فوجئ الجميع بامتلاء ملامحها ، وكانت لوحة فنان لم تظهر روعتها إلا بعد أن اكتست أعماقها بالخطوط النهائية .

وسرعان ما أخذ عودها يمتلئ فتأخذ صورة أمها وديدة ، وأصبحت تلك السمرة القاتلة بجانب حور العين الذى أخذته من أمها واستطالة رموشها وجمال شعرها الفاحم وفوق ذلك غمازة رائعة - تعطى صورة متفجرة بالأنوثة .

وكانت « سلوع » ترنو ببصرها إلى « عطوة » الحرامى ، وكان نظره يتعلق بها غير مصدق جمالها ثم يتجاهلها ، ولكنها لم تتوقع أبدا أن يتودد إليها مراد شاكر ، وظنته يسخر منها وهو يكلمها باحترام وكادت

أن تجعل منه أمثولة لولا شىء فى داخلها جلعها تتراجع .

أرادت أن تستخدمه لتثير عطوة ، الذى كان يرى أن مراد أكثر رخاوة من « سلوع » . وسرعان ماتطورت علاقتها مع مراد وأحست بمتعة فى السيطرة عليه والتلاعب بعواطفه ، فعندما كان يتردى فى هوة اليأس كانت تبذل له بين الحين والحين لحظات عطاء تزكى فى نفسه روح الأمل ، فيلهث وراءها من جديد . وبمرور الوقت أصبحت لا تستغنى عن اللعبة ، وكان ذلك متنفسها عندما يشتد بها الحرمان من اهتمام عطوة .

وتنبهت وديدة إلى ما يحدث ، ونهت مراد عن التقرب من ابنتها ، وأحست أنصاف أم مراد ولكنها لم تحرك ساكنًا وكانت تدرك بأنها نزوة مآلها إلى الزوال .

قال الحارث لمراد يومًا :

- « دع البنت فى حالها فأهلها مساكين . .

وطريقك غير طريقهم » .

قال مراد :

- « أحبها » .

- « ليس حبًا وإنما اشتهاء » .

- « أريدها ولو بالزواج » .

كان مراد أكثر خبرة من سلوع فساقها إلى المواقف التى تضعف فيها أمام إغداقه عليها بالهدايا وحديثه المعسول ، وعندما دخل عطوة السجن سيطر على اهتمامها واستطاع أن يشدها إلى مواعيد خارج الحارة .

ولم يسعف سلوع ذكاؤها الأنثوى لتحكم سيطرتها على مراد ، وكان من الممكن أن تستغل ذكاءها فى استدراجه إلى الزواج بها ، ولكنها استخدمت أساليب فجة فى تهديده وابتزازه . شيئًا فشيئًا شعر مراد بالرغبة والحاجة فى أن يتخلص منها .

***

وفى أحد الأيام فهمت وديدة كل شىء بعد أن

اعتصرت من ابنتها الكلمات ، فذهبت إلى مقابلة الحاج بكير الذى استدعى محمد شاكر وأنذره بستر البنت ، وكان محمد شاكر مذعورًا من تدخل الحاج بكير ، ولكن أنصاف استطاعت أن تزوج سلوع بإبراهيم برغوت . كانت سلوع لأول مرة فى حياتها مسلوبة الإرادة ، ولم تستطع أن تعترض على إبراهيم برغوت وهى تعرف هوان شأنه ، فقد استطاعت أمها إقناع شقيقها محمود عند عودته من إحدى رحلاته على المراكب بأن إبراهيم انصلح حاله ويعمل رئيس جراج شاكر وأقنعته بإتمام الزواج قبل سفره .

***

عاشت سلوع وإبراهيم حياة هادئة ولكنها كانت جسدا بلا روح ، فكانت تتلقى لمسات إبراهيم العاشقة وخيالها مع عطوة . . كان إبراهيم يغدق عليها عواطفه لدرجة أنه فوّت عليها أى فرصة لتشق عليه عصا الطاعة ، ولكن عندما خرج عطوة من السجن أصبحت تثور لأتفه الأسباب ، ثم ادعت الغضب

وذهبت إلى بيت أمها .. كانت وديدة قد فقدت بصرها وتركت بيع الخضار ، وعاشت على ما يرسله لها ابنها محمود ومن الإيجار الزهيد للشقة التى تسكنها أم زينب فى بيتها المتواضع .

وعندما دخل عطوة السجن عادت سلوع إلى بيت إبراهيم . ولكن الأمر لم يطل فقد خرج عطوة هذه المرة سريعًا ، وعادت سلوع إلى بيت أمها بعد أن افتعلت غضبة جديدة . وكانت وديدة حزينة ؛ فقد أحبت إبراهيم كزوج ابنتها وأحست بتجنى ابنتها عليه . وفى إحدى الأمسيات دخل محمود عليها فى غير مواعيد عودته من الرحلات البحرية .

- « محمود ياولدى .. حمدا لله على سلامتك » .

- « خفضى صوتك » .

- « خيرا ياولدى .. ليتك بكرت قليلا لكنت صادفت أختك زكية » .

- « رأيتها وهى خارجة » .

- « لماذا لم تعد معك » ؟

- « لأنها لم ترنى » .

دب الرعب فى قلبها وأحسَّت بجفاف حلقها :

- « ماذا حدث يا ولدى . . أبعد الله الشر » .

سكت قليلا ووديدة تستحثه للكلام .

- « ماذا بين عطوة وسلوع » .

- « قطعت الألسنة . لاتسمع لكلام زوجتك ياولدى فهى تكرهنا » .

- « ليس هذا كلام زوجتى . . لقد تأكدت من خروج عطوة من منزلكم » .

- « ربما . . . » .

- « لا توجد شابة فى البيت كله إلا ابنتك » .

طال الصمت ولم يقطعه سوى صوت نشيج وديدة وملامحها المتقلصة .

قالت وكأنها تخادع نفسها :

- « لها زوج مسئول عنها . . فلتعد لبيته » .

- « قبل الفجر تفتحين لى باب الشقة » .

- « أولادك أحق بك يا ولدى » .

- « والعار » ؟

قالت فى تسليم :

- « إذًا تعال عندما ترى الإضاءة فى شباكى . . والأمر لله » .

ومضى الليل ثقيلا بطيئا . . ولم يغمض لوديدة جفن . . كان فقدان حاسة البصر قد أرهف حاسة السمع عندها . . بعد منتصف الليل سمعت باب الشقة يفتح . . سمعت الهمسات اللاهثة . . كان الانتظار يعذبها . . وأخيرًا سمعت الباب يغلق وراء عطوة .

تمهلت بعض الوقت حتى أحست بالسكون يعود إلى غرفة سلوع ، وكانت قد اتخذت قرارها . . تحسست الأماكن إلى المطبخ حتى أحضرت السكين ، اصطدمت بإناء أحدث صوتا . . توقفت قليلا ثم اتجهت إلى غرفة سلوع . . كان الباب مفتوحًا فدخلت الغرفة . . تسللك إلى السرير ، وضعت يدها على صدر سلوع . . ردت سلوع يدها شبه حالمة :

- « دعينى أنام يا أمى » .

كانت وديدة قد عرفت مكان القلب ، وبثبات غرست نصل السكين فى جسد سلوع ، ثم ركبت بجسدها فوق جسد ابنتها . . كانت ثقيلة وقوية . . حاولت سلوع التخلص منها . قالت فى ذهول :

- « أمى » .

- « سامحينى يا ابنتى » .

ثم وضعت كل قوتها فى تثبيت السكين فى القلب ، وفى حركة لا إرادية أزاحتها سلوع عنها ثم همدت .

جلست وديدة باكية غير مصدقة لما حدث . . أخذت يدها تتحسس مظاهر الموت فى جسد ابنتها ثم قامت إلى السلم فصعدت إلى شقة أم زينب ، ودقت الباب بيدها :

- « أم زينب . . أم زينب . . تعالى لتشهدى علىّ » .

كمال عبده

تعرف كمال على فتنة فى الساحة الشعبية . كانت صغيرة فى الثانية عشرة من عمرها ولكنها كانت تبدو أكبر من سنها ، فتاة مكتملة النمو تتبعته فى جرأة . . كان كمال وقتها الفتى المرموق فى الحى طالبا بالثانوية ولاعب كرة القدم الشهير فى الحى ونجم فريق التمثيل فى الساحة الشعبية .

ولم تتردد فتنة فى الالتحاق بفريق التمثيل بالساحة الشعبية ووجدت ترحيبا مشوبا الحذر . كانت الأدوار النسائية لاتجد من يقوم بها ، فكانت تسند إلى الفتيان أو يتم الاستعانه بالمحترفات مع مافى ذلك من أعباء باهظة على فرق الهواة ، ولهذا السبب كان الترحيب بفتنة لسد النقص فى هذه الناحية .

وأصبح على كمال أن يعالج عيوب النطق عند فتنة خاصة حرف القاف ، وبالغت هى فى تدللها وهى

تدعى صعوبة النطق بالحرف .. وشعر كمال بالانزعاج عندما شعر من البنت الصغيرة لمسات جريئة جعلته يأخذ موقف الحذر منها ليس لأن والدها المعلم محروس الخطير ، ولكن لأن كمال كان خجولا بطبعه . فتصرفات فتنة جعلت الأنظار تتجه إليه فى تساؤل واتهام .

وفى إحدى البروقات تصلدف خلو الحجرة إلا منهما ففوجئ بها تقبِّله بحرارة ثم تنفجر ضاحكة لارتباكه وتعييره بهروبه من الانفراد بها .

وعندما مات المعلم محروس فى السجن ، أصبح التعامل مع فتنة أكثر سهولة ؛ فقد زالت الرهبة التى كانت تظلل الجميع ، وصارت فتنة أكثر انطلاقا خاصة بعد أن انشغلت أمها بالزواج من المعلم قدورة .

وبمرور الأيام أصبح غرامها لكمال حقيقة ثابتة . أحبته بجنون وكانت غيرتها عليه حديث الحى ، وبادلها كمال حبا بحب . تخلل هذا الحب فترات من الجفوة ولكن كان يعود دائما أقوى مما كان .

في أحد الأيام لمح كمال في الطريق الحاج صديق فترك فتنة ليتهرب من رؤية الحاج له معها فأغضبها ذلك :

- « من هذا الصعيدى الجلف الذى تركتنى من أجله » .

- « الحاج صديق ليس جلفا ولكنه سيد الرجال » .

- « متى تتحررون من سادتكم » .

- « سادتنا على الأقل أشراف » .

ثم قاطعها بعد ذلك شهرا . . حتى استرضته وهى تبكى .

عندما تخرج كمال فى كلية الحقوق عرض عليه الحارث صديق أن يتمرن فى مكتبه ، وكانت فتنة قد بلغت التاسعة عشرة ولم تحرز نجاحا فى دراستها . ولكن جمالها أصبح أخاذا .

فاتح كمال أبويه فى التقدم لخطبتها ، ولكن أمه كانت أشد معارضة من الأسطى عبده :

- « لن تكون ابنى لو أخذت بنت الـ . . . » .

وبلغ مسامع المعلمة أمينة قول أم كمال .

- « رضينا بالهم وبنت الفران والهم لم يرض بنا » .

فى أول الأمر لم يرضخ الحبيبان للقيود التى ضُربت عليهما . . وكانت فتنة أشد ضراوة فى تحديها لأمها وزوجها المعلم قدورة ، وكانت فكرة زواج فتنة من حسن شاكر قد سيطرت على تفكير أمها . . ولكن شيئا فشيئا لاحظت فتنة تضعْضُع مقاومة كمال ، فى أول الأمر أرجعت المسألة إلى انشغاله بمكتب المحاماة ، ولكن شيئا فشيئا راعها ما رأت على كمال من مظاهر التدهور ، وتسمعت مع الجميع بحوادث إهمال كمال للعمل بمكتب الحارث ، وإدمانه المخدرات ، وروعها ذلك لعلمها بأن كمال لم يكن يدخن السيجارة . كانت فتنة لا ترفض مبدأ تعاطى الرجل للمخدرات ولكنها لم تكن تريد لكمال أن يصبح مثل الآخرين .

كانت قد اعترضت منذ البداية على علاقته بيوسف العجمى ، ذلك الشاب المشبوه الذى كان أحد رجال زوج أمها المعلم قدورة . . وأحست أن وراء هذه العلاقة شر ، ولكنها لم تكن تتوقع أن يكون الخطر بهذا الحجم حتى عرف الجميع بأنه الهروين .

قال الأسطى عبده للحاج صديق باكيًا :

- « عرفوا ياحاج كيف ينتقمون لرفضنا مصاهرتهم » .

قال الحاج صديق :

- « سوف نعالجه مهما كلفنا الأمر » .

***

ولم يطل الأمر كثيرا بكمال بعد شفائه من الإدمان حتى عاد إليه مرة أخرى ، ولم يتركه يوسف العجمى ، فرض عليه سيطرته مرة أخرى .

وفى إحدى لقاءات كمال بفتنة فوجئت به يتعذب . لم يكن مستقرا فى مكانه ، حتى اكتسى وجهه بالذلة والهوان وهو يطلب منها الاقتراض .

ولكنها يوما رفضت أن تقرضه وقد أحست بأنها أمام شخص غريب لم تعرفه من قبل . كانت قاسية معه ، ثائرة عليه ، ربما كانت ثورتها من خيبة الأمل التى منيت بها أكثر من ثورتها على شخصه .... ومات الحب .

وأقنعت فتنة نفسها بأنها تحررت تماما من حبه ، وتجاوبت مع محاولات أمينة لإعادتها لعالمها الخاص ، وتعودت أن ترى كمال فى ذهوله دون أن يدمى ذلك قلبها ، بل وتعودت أن تسخر من حالته وكأنما تتبرأ منه .

وفى يوم من الأيام رأى الأسطى عبده ابنه كمال يسير ذاهلاً ، أشعث الشعر ، رث الثياب ، بدلته مليئة بالثقوب السوداء التى أحدثتها الشظايا المتطايرة من التدخين ، وكانت يده ممسكة ببقايا لفافة يدخنها . لم يعرفه كمال ورأى الناس الأسطى عبده وهو يجرى ليدرك كمال وبكى البعض وهم يرون الرجل المنكوب وهو يجثو عند قدمى ابنه يقبلها :

- « ياولدى لم فعلت ذلك فى نفسك . . ارجع لنا ياولدى ولك ماتريد » .

أم الخير

لم تكن أم الخير مجرد زوجة لحسن شاكر ، وإنما كانت صديقته ورفيقة كفاحه . . كان والدها الحاج سيد علوانى - خفير شونة البنك البلجيكى - رجلا عملاقا ضخم الجثة ، عرف بالقوة الهائلة ، وكان يستخدمها لنصرة الضعفاء ، وخصص لحسن شاكر حجرة « الحنايا » بمنزله لإيوائه ، ثم توسط له لإلحاقه بالعمل كساعٍ فى البنك البلجيكى ، وشجعه بعد ذلك على تعلم مهنة قيادة السيارات ، فلما عين سائقا بالبنك ، زوجه ابنته الكبرى « أم الخير » وبنى له دورا فى منزله .

عرفت أم الخير بعزة النفس ، وقدرتها الخارقة على التدبير والتوفير . . ساعدت حسن على توفير مبلغ صغير اشترى به سيارة تاكسى قديمة كانت فاتحة خير عليه ، فأتبعها بسيارة بيجو .

وعند الانفتاح مع ليبيا كوَّن حسن شاكر أسطولا

من عربات البيجو ، استخدمها لتجارة الملابس المستوردة وقطع غيار السيارات ، وكانت أم الخير هى العقلية المدبرة التى قادت هذا التحول . ورغم الثراء الواسع حافظت أم الخير على شخصيتها المعروفة . . فهى بنك سيدات الحى ؛ عندها يودعن أموالهن ومنها يقترضن ، ولديها تحل مشاكلهن الأسرية وتُعقد الزيجات ، وكانت تراعى الأرامل وتحضر مجالس الرجال .

حاول حسن شاكر أن يغيِّر من نمط حياتها ولكنه فشل وكل ما استطاع أن يقنعها به لم يزد عن تركها للملاية « ولبس البالطو » ، وكانت خجلى من هذا التغيير . ولكنها بررته بأن البالطو أكثر حشمة .

حذرت أم الخير حسن شاكر من مشاركة قدورة ، وكانت تعلم بأنه يتاجر فى المخدرات ، ورأت ببعد نظرها أن هذه المشاركة سوف تشده بعيدا عنها وارتابت فى اللقاءات التى يعقدها فى المنزل .

قالت له يوما :

- « الأرجل زادت على البيت يا معلم » .

- « العمل يحكم ذلك » .

- « ولكن البنات لم يعدن صغيرات » .

قال بخيبة أمل :

- « هل أبحث عن منزل آخر » ؟

- « لا يهمنى . . الأحسن تربية البنات » .

قال محذرا :

- « سوف يعنى ذلك المبيت أحيانا خارج البيت » .

- « فليكن » .

كانت تشعر بأنه سوف ينفلت منها يوما . . فالشُّقة بينهما تزداد اتساعا ، ومستواه الاجتماعى يتطور فى غير صالحها ، وفى نفس الوقت كانت تشعر بشوقه الشديد إلى أن يكون له ولد قبل ضياع الفرصة . وهى لم تعد صالحة للإنجاب .

عندما علمت يوما أنه تعرف على إحدى الراقصات . . قال لها معتذرا :

- « كان للموضوع ظروف خاصة » .

- « تزوج بكرامة أفضل يا معلم » .

* * *

وتحقق ظنها فى مصير العلاقة مع المعلم قدورة ، فقد أحكمت أمينة زوجة قدورة قبضتها على حسن شاكر ورتبت ليكون العمل بينه وبين قدورة من خلال ابنتها من زوجها الأول « فتنة » . . كانت فتنة طاغية الأنوثة وأقوى من أن يقاومها حسن شاكر ، فتلاعبت به كيفما شاءت . عندما أحست أم الخير بذلك قالت له :

- « أمينة زوجة قدورة تقول إنها هى التى تصرف على بيتى » .
- « وأين أموالى » ؟
- « لا أريد شيئًا من أموالك . . اكتب لى عمارة جليم » .
- « خذى عمارة رشدى فإيرادها أكبر » .
- « أفضل عمارة جليم فقد سال فيها عرقى » .
- « لك ما تشائين » .
- « ورسوم التجميل أسددها من أموالى الخاصة » .
- « وهل أصبحت أموالى لعنة » ؟

- « اللعنة فى مشاركة أمينة وقدورة سمومهم » .

ثم أضافت قبل أن يخرج من البيت :

- « وفتنة » ؟

قال بغضب :

- « فتنة مخزن لا أكثر » .

قاطع حسن شاكر البيت لمدة شهرين ، وترددت الشائعات خلالهما عن قرب زواجه من فتنة .. وأحست أم الخير بحرج عميق لكرامتها ، فهو ليس الزوج وليس « أبو البنات » فحسب ولكنه صديق العمر .

مرضت أم الخير بمرض ألزمها الفراش .. وفى إثر ذلك جاء حسن شاكر فى جزع وهو يلين إلى درجة التذلل :

- « سلامتك .. ألف سلامة » .

- « لقد أنستك فتنة زوجتك وبناتك وأبعدتك عنا » .

- « الموت فقط هو الذى يبعدنى عنكم » .

- « كتب الله لك طول العمر » .

أشاحت بوجهها عنه ، وقد اغرورقت عيناها بالدموع وقالت :

- « فتنة ليست من ثوبك يا معلم » .

حركه بكاؤها . . قال وهو يتشنج بالبكاء :

- « فات الأوان يا أم الخير . . لامفر الآن من الزواج » .

سراج الدين شاكر

بدأ سراج الدين حياته العملية أيام الحرب العالمية الثانية وهو فى الثامنة عشرة عاملا فى خدمة الجيش الإنجليزى ، واستطاع بلباقة أن يكسب ثقة ضابط إنجليزى وأحد الجنود الأفارقة ، وبمعاونتهما استطاع نهب كميات كبيرة من مخزون الشاى والبلوبيف والبطاطين . وظهرت عليه النعمة ، فلبس البيجامة والحذاء وتزين بالخاتم الذهبى والساعة ، وأسس مقهى سراج . وبعد انتهاء أيام الإنجليز ، تعرض سراج لأيام عصيبة اختفى فيها الخاتم من إصبعه والساعة من يده ودخل السجن عدة مرات إلى أن صالحه الحظ مرة أخرى .. ففى إحدى جلسات المزاج التقى بإبراهيم بك أحد المسئولين عن نقل معدات السد العالى ، وفى ظل التعاون بينهما تدفق نهر من الذهب فى جيب سراج شاكر لحُسن تصرفه فى حمولات كاملة من معدات السد العالى ، وكان

إتمام السد العالى خبرًا غير سار لسراج ، ولولا أنه قد بلغ درجة من الثراء تحصنه من الفقر لكان موضع شماتة الشامتين . وكانت الصدفة وحدها هى التى وضعت فى طريقه « توحه » ، أصغر زوجاته وأكثرهن جمالا . بهره جمالها ولفتت نظره بتحركاتها بين الإسكندرية وبور سعيد . . كانت تسافر إلى بور سعيد بالملاية والشبشب ثم تعود إنسانة جديدة على رأسها الباروكة وتلبس البالطو الفرو ، أما حقيبتها ففيها ماخف وزنه وغلا ثمنه ، وتخرج محروسة بحملها الثمين وهى توزع ابتساماتها الذهبية ونظراتها الساحرة . وتزوجها سراج لينزل الميدان بجيش عرمرم من المتسفرين لبور سعيد .

لم يترك سراج مجالاً من مجالات الربح إلا طرقه ، وعندما أراد الدخول فى سوق العملة الصعبة دخل بكل ثقله ليصبح من سادته ، وفى الوقت الذى أحاط فيه البؤس بالبنك المركزى وغيره من البنوك كان سراج شاكر هو البنك الوحيد الذى تقبل صكوكه فى أسواق بيروت واليونان ، وكانت الورقة الموقّعة من

سراج تصرف القيمة المدونة بها بعد سداد قيمتها بالعملة المحلية . أما كيف تتم التسويات فذلك شأنه وحده .

عندما علم سراج برفض أهل الحارث للصلح ، استطاع الضغط عليهم بأن حرك بأمواله حملة صحفية ضد الثأر قادها الصحفى المعروف « حسن صبرى » الذى تربطه به علاقات وصفها البعض بأنها ليست فوق مستوى الشبهات ، وكان حسن صبرى قد بدأ حياته العملية بعد الثورة مباشرة ولمع بمقالاته التى تمجد « جمال عبد الناصر » ، وعندما مات قائد الثورة كتب حسن صبرى مرثية انتزعت الدموع من أعين القراء . . ثم خفت نجمه حتى عاد للأضواء بقوة بعد صدور كتابه « أيام الدكتاتورية » . ارتبط حسن صبرى بمجموعة من كبار الأثرياء وأصبح يمثل مدفعيتهم الثقيلة خاصة بعدما أصبح رئيسًا لتحرير جريدته ، ولم يتورع عن مهاجمة الوزراء إذا ما كانوا يمثلون عقبة فى طريق أصدقائه .

محمد سراج الدين شاكر

رزق سراج الدين بابنه محمد بعد شوق للولد وعلى كبر ، فأحاطه بكل أصناف الرعاية والتدليل ، وعلى الرغم من أن مولد محمد كان مفاجأة غير سارة لبعض أفراد عائلة شاكر الذين كانت ستئول إليهم ثروته الكبيرة فى حالة عدم الإنجاب فإن الجميع قد شارك فى « الأسبوع » الأسطورى للوليد بالشكل الذى يجعل الاحتفال لائقًا بابن عميد عائلة شاكر . وكان لتدليل سراج الدين والعائلة بأسرها لمحمد أثر فى شعوره بالتعالى على أقرانه ، وكانت معارضة رغباته جريمة نكراء ولا تغتفر ، وهو ما جعل علاقات الطفولة بينه وبين الحارث تتسم بالنفور على العكس من علاقة الحارث بمراد .

وعندما كان محمد فى الدراسة الثانوية أصبح يمتلك سيارة خاصة ومصروفا شهريًا يساوى أضعاف

مرتب موظف حكومى ، وكان ذلك مدخلاً سهلاً لعالم من الدخان الأزرق والأفخاذ العارية طارت سمعته فيه حتى طرقت كل الآذان فى الحى . وكان سراج الدين يطرب لذلك ، ويمـــده بالمزيد من النقود للإنفاق على رغباته على أساس اتفاق غير مكتوب باستمرار المعونات بشرط عدم التعثر فى الدراسة .

عندما دخل محمد كلية التجارة تغاضى عن حضور المحاضرات اكتفاءً بالدروس الخصوصية عند أساتذة المادة ، إلا أنه عندما رأى ذات يوم مصادفة سهير المعيدة بكليته قرر أن يبقى أطول مدة فى الكلية حتى يتمكن من متابعة هذا الصيد الثمين . وعلى الرغم من تحذيرات البعض له بأنها ليست من ذلك النوع الذى يمكن اصطياده ، وأنه قد عُرف عنها الاستقامة والصرامة فى المعاملة لم يأبه لهذا التحذير معلنًا :

- « كلهن متشابهات . . فلا تغرنكم ادعاءات الاستقامة والصرامة » .

وعندما حاول الاقتراب منها صدمته بقوة لا تخلو

من التعالى ، وهو ما سبب جرحًا لكبرياء الصياد زاده تصميمًا على أن ينالها . وقد علَّل لبعض المقربين هذا الإخفاق بأنها تعيش « الدور » أكثر من اللازم .

***

وفى ذلك اليوم ، كان الجميع قد انصرفوا وكانت سهير وحدها بمكتبة الكلية عندما دخل عليها محمد . اقترب منها بحذر حتى فوجئت به أمامها وقد جعلها ذلك تنتفض فزعًا .

- « هل أنا مخيف لهذه الدرجة » .

- « ماذا تريد » ؟

- « أنا أحبك » .

احمر وجهها وصرخت فيه :

- « اخرج من هنا » .

اكفهر وجهه .

- « وإذا لم أخرج » .

- « سأستدعى حرس الكلية » .

لم تكد تكمل جملتها حتى كان يحضنها ويقبلها فى وجهها ورقبتها بجنون ، عندما استطاعت التخلص

منه كان أحد أزرار قميصها قد سقط فزاد حنقها عليه واستجمعت قوتها لتلقى على وجهه بصفعة خرج على أثرها مهرولا من المكتبة . ولم يمض أسبوع حتى كان مجلس الجامعة قد قرر فصله ، ولم تُجِد أموال ولا اتصالات والدايه فى منع صدور القرار .

بعد الفصل من الكلية ، صرف محمد نظره عن استكمال التعليم الجامعى ، على الرغم من العروض السخية التى قدمها سراج الدين للتعليم فى الخارج ، وقرر أن ينزل السوق برأس مال تلقاه من والده . جاعلاً البداية بتجارة العملة تحت مظلة سراج الدين أحد الكبار فى هذا المجال .

ولكن الجميع فوجئوا بمحمد ذات يوم وقد استطالت لحيته وارتدى الجلباب ، وهو تغيُّر عجز أقرب المقربين إليه عن تفسيره ، وكان مشهد حضوره للصلاة بالمسجد والذى يتم بانتظام منذ الفجر وحتى العشاء مناسبة جيدة لاستدرار تعبير « سبحان مغير الأحوال » من كل أهل الحى الذين خبروه منذ

طفولته . وقد استمر محمد سراج فى تجارة العملة على أساس فتوى قدمها أحد الفقهاء أن تجارة العملة حلال ولا شبهة فيها . إلا أن ذلك لم يكن يرضى طموحه فلم تمض فترة طويلة حتى أسس شركة « السراج المنير لاستثمار الأموال » .

وعندما بدأ نجم الحارث فى المحاماة يرتفع دخل عليه محمد ذات يوم مكتبه وهو يحمل توكيلاً عامًا وعرضًا للعمل كمستشار قانونى فى شركته مقابل مرتب مبدئى ألف جنيه شهريًا ، وكان سلوك محمد سراج الأخير والملتزم قد خفف من حدة النفور الذى يستشعره الحارث تجاهه ، فقبل الحارث العرض . وشيئًا فشيئا بدأ الحارث يلاحظ الكثير من الاعوجاج فى نشاطات الشركة وقد واجه محمد سراج بذلك ذات يوم :

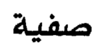
- « اتق الله فى أموال الناس فهى أمانة » .
- « أنت محام ولا تفهم فى التجارة ولعبة المال » .
- « هناك أشياء لا تحتاج فى فهمها إلى معرفة بالتجارة » .

- « عملى لا دخل لك به . . أنت مستشار قانونى وتتقاضى مرتبًا فلا تخرج عن تلك الحدود » .

شعر الحارث بالإهانة فطلب ملف محمد سراج ليخرج توكيله ويمزقه أمامه قائلاً .

- « لم أعد مستشارك القانونى » .

خرج محمد سراج من مكتب الحارث وهو يشعر بالمهانة ، وقد اعتبره منذ تلك اللحظة عدوًا ليس لهذا الموقف فحسب فقد كان هناك شئ آخر . كانت صفية مطمع لمحمد سراج وكان الحارث غريمًا خطيرًا له . وعندما قتل الحارث شعر محمد سراج براحة كبيرة فقد أشفى غليله من ناحية وأخلى له الطريق إلى صفية من الناحية الأخرى .


صفية

كان يحلو للحارث وهو فى المدرسة الثانوية أن يداعب صفية ويسميها « صفصف العجيب » ، وكانت صفية تتعلق به وكثيرًا ماكانت تفتعل عدم الفهم للدروس لكى تزوره وتسأله عن بعض مسائل الحساب . كانت أصغر منه بسبع سنوات وكانت تناديه « أبيه الحارث » .

وعندما تخرّج الحارث من الجامعة كانت صفية زهرة تتفتح . . جمالها البرىء كان يكتسب شيئًا فشيئًا بريق الأنوثة ، ولم تعد صفية الطفلة التى يداعبها الحارث ، فقد أحس كما أحست هى أيضًا بأن الحواجز تفصل بينهما . . . كانت النظرات تلتقى فتنحنى الرءوس بإيماءة فيها تحفظ وحذر .

وبمرور الوقت كان الحارث يزداد حرجًا كلما قابلها . . نظرتها تتغلغل فيه فيحس بقلبه يخفق . . كان يشعر بالسخط الشديد على نفسه . . كيف تفعل

هذه الصغيرة فيه ما تفعل .. كان حريصًا على ألا يكتشف ما بداخله بادعاء عدم الاكتراث .. وعندما كان يعود من المحكمة كانت عيناه تبحثان عنها فى البلكونة دون أن يوجه النظر إليها مباشرة .. وفى كثير من الأحيان كان يعتقد أنها أصغر من أن تفهم مشاعره ، وبمرور الوقت أصبح أكثر قدرة على أن يتجاهلها وأن يهرب من اللقاء المباشر معها . كان يتوق للحظة التى يَعلن فيها عن حبه ويتخذ الخطوات لطلب الزواج منها .

كانت صفية تتألم كثيرًا كلما ازداد إهمال الحارث لها .. حكت ذات مرة لصديقتها فأخبرتها بأنه إن لم يكن يحب أخرى فإن أحواله تدل على أنه يحبها بجنون .

حاولت لفت نظره . ولكن وجه الحارث كان كالجرانيت لا يشى بشىء .. كان الحارث يخجل أن يخدش براءتها بأحاسيس الغرام الملتهب الذى يضطرم بين جنباته .

***

في مساء أحد أيام الجُمَع ، كانت سيارة الحارث في الإصلاح وكان في نفسه شوق لقضاء يوم حر ، أمام الترام تسمَّر الحارث عندما رأى صفية .. هز رأسه .. هزت رأسها .. تمنت كما تمنى أن يتأخر الترام ليتجمد الموقف على ماهو عليه .. خُيِّل إليهما أن العالم كله يراقبهما .. كان نظر الحارث في اتجاه آخر ولكنه بكل كيانه يراها كما شعرت .. كل ملامحها ، تسريحة شعرها ، ثوبها ، في خياله .. ركبت الترام ، لحقها ودفع عنها التذكرة .

ابتسمت وهي تقول :

- « أشكرك » .

- « هذا واجبي » .

صمتت وهي تشيح بنظرتها خشية أن تلتقي النظرات .. حاول قطع الصمت :

- « كيف حال الوالد » ؟

- « الحمد لله .. في تحسن مستمر » .

- « هل تجدين صعوبة في مواد الآداب » ؟

- « إنها أسهل الكليات » .

- « على الأقل لن تحتاجى أحدًا ليشرح لك مسائل الحساب » .

ضحكت وهى تقول :

- « لم أكن ضعيفة فى الرياضيات كما تظن ولكن المجموع اللعين هو الذى أرسلنى للآداب » .

زاحمته امرأة بدينة فحالت بينهما وبين الحديث . . أحس بأنها تتهيأ للنزول فى المنشية فاستعد للنزول معها . سار بجانبها وهو يشعر بالحرج .

* * *

فى محل تريانون كانت تجلس أمامه مرتبكة . . لاحظ أن نظرتها تتجه فى تلصص إلى شاب فى مائدة قريبة .

قالت له ولم يزايلها ارتباكها :

- « كنت لى حلمًا أبعد من النجوم . . جديتك لم تترك لى فرصة لأتخيَّل لقاء كهذا » .

- « من هذا الشاب الذى ينظر نحوك .. هل تعرفينه » ؟

- « إنه عصام شقيق صديقتى فاطمة » .

قال بضيق :

- « لقد كان يلاحقنا منذ نزولنا من الترام » .

تشاغلا بتناول المشروب .. لفهما الصمت .

قالت فى صوت مشروخ :

- « أرجوك لا تسىء الظن بى ... .

قال بحزن ونظراته تغوص فى كوب المشروب :

- « وهل يحق لى أن أسىء الظن بك » .

كانت عيناها مغرورقتين بالدموع .. قالت بانكسار :

« هل أطمع فى أن تطلب لي " تاكسى " » ؟

ظل واقفًا ينظر إليها حتى غاب التاكسى عن نظره .. لم يفق حتى قادته قدماه إلى المنزل .. ولم يشعر بطول المسافة التى قطعها فى عودته .. كانت الصدمة أكبر من أن يتقبلها .. صفية البريئة التى كان يدَّخر عواطفه نحوها لسنين عديدة حتى لا يخدش

حياءها ، تواعد شابًا . . لام نفسه لأنه أوصلها إلى حافة اليأس من حبه . . ولكنه لم يستطع أن يغفر لها ذلك .

* * *

مضت الأيام والحارث يزداد تجاهلاً لصفية كلما تأجّج حبه لها . . لم يخفّف من غلوائه ما لاحظه من مواظبتها على الوقوف فى البلكونة فى مواعيد خروجه وعودته من المكتب . . كان يتصنت الأخبار عنها . . وحانت الفرصة الذهبية لها عندما رفضت خطوبة عصام . ولكن الحارث لم يفعل أكثر من أن نظر إليها مرة أثناء عودته من العمل ثم سحب نظره سريعًا . . إلى أن كان يوم وفاة والدها . كانت تقف على القبر فى مواجهته تمامًا . . شعر الحارث بأنها تبكى حبهما . . كاد أن يتقدم إليها ليضمها إليه لولا جلال الموقف . . وتحت النظارة بكى لأول مرة منذ صدمته . وأحسّ بأنه مستعد للغفران .

بعد عدة أيام جاءته فى المكتب :

- « يعز على أن أكلف غيرك بإجراءات الميراث » .
- « أرجو أن أكون عند حسن ظنك » .

ساد بينهما صمت . قطعته قائلة :
- « هل هنتُ عليكَ لتقاطعنى كل هذه المدة » ؟
- « كنت أتعذَّب أكثر منك . . لقد كان الكبرياء هو الجانى » .
- « وكبريائى » ؟
- « أنا الذى أطلب الصفح » .

لم يستطيعا فى هذا اللقاء أن يتكلما فى إجراءات الميراث كانت القلوب ترقص بين الضلوع ، والعيون تفصح عما عجزت عنه الألسنة .

قال لها الكلمة التى انتظرتها طويلاً :
- « أحببتك دائمًا . . وسوف أتكلم مع والدى فى التقدم لزواجك بعد فترة الحداد » .

* * *

بعد مقتل الحارث ظن الناس بصفية الجنون . .

كانت فى ذهولها تخرج كل يوم إلى البلكونة فى نفس مواعيد خروج وعودة الحارث ، وعيناها تبحثان عنه بين الناس .

خلعت صفية ثوب الحداد بعد مقتل مراد . وعادت إلى دراستها بالكلية .

صافيناز محمد كاظم

بذل مراد جهدًا كبيرًا ليحقق أمله فى الانضمام لنادى اسبورتنج السكندرى الراقى ، ولولا النفوذ الذى مارسته أمه أنصاف والأموال التى بعثرها محمد شاكر ، لما تحقق له أمل الانضمام لنادى الصفوة السكندرية .

وفى هذا العالم الأرستقراطى الساحر خطفت صافيناز بصره بشدة بجسدها الرائع التكوين ووجهها الشبيه بوجوه « رينوار » ذوات الجمال الهادئ والرقة المتناهية ، جمال مغلف ببشرة بيضاء مشربة بالحمرة ، يعلوها تاج من الشعر الذهبى الناعم . استقر عزمه على الوصول إليه مهما كلفه ذلك .

كانت صافيناز شديدة الكبرياء والاستعلاء . استعلاء تتغذى جذوره على اعتزاز شديد بأصولها التركية ، غرسه فيها والدها المهندس محمد كاظم ، الذى علمها منذ صغرها أنهم طبقة متميزة عن باقى

المصريين نالوا أكبر قدر من حقد عساكر الثورة فى مصر .

ولدت صافيناز في فرنسا ، حيث قضى والدها جزءًا كبيرا من حياته فيها بعد أن صودرت أملاك أسرته ، وكان والده كاظم باشا حصيفا عندما أودع بعض أمواله قبل وقوع الثورة فى بنوك الخارج ، وقرر بعد الثورة الهجرة إلى فرنسا بعد أن رأى أنه لم يعد له مكان فى مصر بعد أن جعل العسكر أعزة البلاد أذلة وأمعنوا فى إذلالهم حسبما يشعر .

كان كاظم باشا مرشحًا قبل اندلاع الثورة ليصبح وزيرًا ، ولكن استيلاء الضباط الأحرار على السلطة قضى على الأمل الذى خطط له طويلا ؛ فعاش حتى وفاته يشعر بالظلم والمرارة ، وأورث أولاده تلك المرارة على الثورة فى مصر .

بعد حرب أكتوبر بعام عاد محمد كاظم وأسرته إلى مصر ، وقرر الاستقرار فيها بعد تأكده من زوال النظام السابق . التحقت صافيناز بإحدى المدارس الثانوية الأرستقراطية فى الإسكندرية كأول بادرة على عزم والدها الاستقرار فى مصر .

اصطدمت صافيناز بالتقاليد المصرية ، وعاشت فى بادئ الأمر فى عزلة اختيارية لكى تتجنب الاختلاط بمن تعتقد أنهم أقل منها ، وكرهت كل القيود التى تحد من حرية تصرفاتها ، ووصمت المجتمع بالتخلف الحضارى . . ولكنها فى النهاية اضطرت إلى كسر حاجز العزلة الاختيارية فكونت مجتمعها الصغير الذى انتقته بعناية من أعضاء النادى ، لتعيش معهم حياة الحرية التى تتوق إليها خارج نطاق تقاليد المجتمع وقيوده . كانوا يجتمعون فى ڤيلا لأحد أعضاء الشلة أطلقت عليها صافيناز « الواحة » . واحة الحرية حيث الجنس والخمر والمخدرات ، بعيدا عن المحاذير والعُقَد والخوف . كان مراد يتحسس طريقه إلى الشلة ، التى تمكن أخيرًا من اختراقها ، واستقبلته صافيناز بفتور أقرب إلى العداء وكانت ترى أنه فلاح جلف ، وحاولت عزله عن الشلة بإصرار ولكنها فشلت فى النهاية ؛ فقد كان مراد ينبوعًا لاينضب من أفخر أنواع الويسكى والشامبانيا . ومن جانبها وأدت صافيناز كل محاولات مراد للتقرب

منها ، وعندما ألمح إليها يوما برغبته فى مشاركتها الفراش رفضت باستعلاء وازدراء . ولكنه كان مصمِّمًا على أن ينالها بأى ثمن ولم يكن مستعدا للهزيمة ، فتقدم إلى والدها محمد كاظم يطلب يدها للزواج . وعندما فاتح الرجل ابنته فى الأمر قابلت العرض بثورة عارمة على جرأة مراد ووقاحته ، ولكن كان لوالدها رأى آخر . فقد رأى ببعد نظره أن مجد عائلة كاظم السليب لن يعود إلا على جسر من ملايين عائلة شاكر ، وحتى لو اقتضى الأمر تقديم تنازل عظيم بمصاهرتهم ، لذلك واصل محمد كاظم بإصرار ضغطه على ابنته لقبول مراد زوجًا . وقالت لها إحدى صديقاتها :

- « اقبلية زوجًا شكليا . . لن يعوقك عن ممارسة حياتك الخاصة » .

- « إنه فلاح متخلف » .

- « ولكن لا ضرر منه . . تستطيعين جعله فى إصبعك كالخاتم » .

وكان حفل خطبة مراد وصافيناز مثار حديث الإسكندرية لمدة طويلة ، وكان ببذخه وأسطوريته مثار استفزازٍ للكثيرين من أهل المدينة إلى الدرجة التى حدت بأحد الصحفيين للإشارة إلى ذلك فى عاموده اليومى .

وحتى بعد الخطوبة رفضت صافيناز أن تمنح مراد ما كانت تمنحه لغيره بغير خطوبة . . واستمرت على معاملتها الفاترة له ، والتى كانت تفضُلها معاملتها لجرسون كافتيريا النادى ، ولكنه تذرع بالصبر ، ففى النهاية سينالها ولو بالقوة عندما تصبح زوجته .

بعد مقتل الحارث وهروب مراد لم تحاول صافيناز مجرد الاتصال التليفونى بأهل مراد للاطمئنان عليه ، وبعد انتهاء الأزمة لم تحاول تبرير موقفها بأى شكل من الأشكال ، وكان يريحها أن يفهم أن وجوده فى حياتها يساوى عدم وجوده .

عندما قُتل مراد لم تحزن ولم تلبس الحداد ، ولم تكلف نفسها عناء تقديم العزاء لأهله .


أنصاف

دخلت أنصاف حياة محمد شاكر كضيفة على زوجته بهية ابنة خالتها . . وكانت بهية قد استضافتها على سبيل التسرية عنها بعد وفاة والدها ، فأقامت عندها أسبوعين ، كانت خلالهما قد تقربت من محمد شاكر وأوقعته فى شباكها . . ثم افتعلت معركة مع بهية وخرجت من المنزل بعد أن أشاعت بأن بهية تشعر بالغيرة منها .

تزوجها محمد شاكر بعد شهرين من تركها البيت ، لتعود مرة أخرى ولكن بصفتها ضرة لبهية ، وأشاعت بأنها لم تكن لتتزوج من محمد شاكر لولا الإهانات والإساءات التى لحقتها من ابنة خالتها بهية ، ولم تنجح بهية فى الابتعاد عن شاكر ، فلم تكد تذهب مغضبة إلى منزل أمها حتى عادت بعد شهر لتقبل العيش وأولادها فى ظل القهر الذى فرضته عليها أنصاف .

عاشت أنصاف لترسم لمحمد شاكر حياته ، أولا كرجل للعمولات والاتصالات السرية مع الموردين أيام كان يعمل فى محلات « هانو » ، ثم لتنقله إلى مرحلة أخرى تمثلت فى تجارة الشنطة ، ومنها إلى مرحلة البوتيك ، ثم استخدمت سحرها لدى كبار المعلمين لتحول البوتيك الصغير إلى معارض الأمل « أكبر معاض الإسكندرية » .

رزقت من شاكر بمراد ، ثم توقفت عن الإنجاب إثر عملية قيصرية أجريت لها فى ولادته ، ولكن تدليل مراد يقع ضمن إطار خطة الإذلال التى وضعتها أنصاف لمعاملة بهية زائد أولادها . فأنصاف هى التى كانت وراء هذا الثراء الطائل وهى التى تدعمه .

عندما قتل الحارث توجه محمد شاكر من فوره إلى قسم الشرطة مستجيرًا به لحماية أنصاف التى كانت وحدها فى المنزل ، بعد أن ترك أبواب المعرض مفتوحة على مصراعيها . . كان كل همه بعد أن اطمأن إلى هروب مراد أن تقوم الشرطة بحماية منزله ، وامرأته التى تقبع وحيدة من غضب أسرة

الحارث . وتمكنت الشرطة إثر ذلك من وضع قوات الأمن على المداخل المؤدية للشارع حيث يقيم ، ووضعت حراسة مشددة على منزله ، إلا أن هذه الحراسة سرعان ما خُفِّفت بعد أن قال الحاج صديق والد الحارث لضابط المباحث :

- « وهل هان أمرنا حتى نهاجم الحريم » ؟

وخرجت أنصاف مع شاكر ليقيما بالعجمى ، حيث تحولت الڤيلا إلى قلعة حصينة يحوطها الأصدقاء من كبار المعلمين . ومن هناك استطاعت أنصاف بعد أن وصل مراد إلى أخواله فى دمنهور أن تكوِّن شبكة منظمة عاونته فى تغيير مكان إقامته بين الحين والآخر تجنبا للأخطار .

استطاعت أنصاف تحريك عدد من المسئولين ممن تعرفهم للتعجيل بالصلح ، وأمكنها أن تركز الضغط على الحاج بكير والد صديق لقبول كفن مراد ، ولكنها لم تكن تقدِّر التقدير الصحيح لموقف الحاج عبد الوارث ، وخدعها دخوله المستشفى وقت

التصالح عن حقيقة نواياه . . وكانت فى الأصل ميَّالة
إلى تجاهل عبد الوارث ، كما كانت تشعر فى داخلها
بازدراء له ولزوجته فاطمة ، وكانت لا تتحدث عنها
إلا باسم « فاطنة » سخرية من لهجتها الصعيدية .
كانت خديعتها الكبرى عندما رأت وجه خضرة أم
الحارث الجامد الذى لا ينم عن شىء ، فظنت أن
خضرة هى غريمتها ، وأنها استكانت للواقع ، ولم
تعرف أن غريمتها الحقيقية هى الحاجة « ترجِّى »
الرهيبة التى لا تعرف الهزيمة أبدا .

عندما جاءها خبر مراد ، صرخت صرخَة مروعةً
لم يُسمع بمثلها من قبل فى الحى . . وظلت تلطم
وجهها وتمزق ثيابها ، حتى ظن الناس أنها قد
جُنَّت . . ولكن الحزن الذى هد بنيان أنصاف لم يمنع
من أن تشع عيناها بين الحين والآخر ببريق ، فسَّره
البعض بأنه وعيد بالانتقام ، وفسره البعض الآخر بأنه
وعدٌ بالنسيان ، والاستسلام للحياة .

إبراهيم برغوت

لم يعرف أحد من أهل الحى كيف جاء إليه . . ولكن الناس تعودوا أن يروه يبحث عن رزقه مثل القطط الضالة . عمل صبيا فى القهوة ، ثم جرب حظه فى مسح الأحذية ، ولما اشتد عوده أصبح يكلف بكل الأعمال الشاقة التى تتطلب مجهودًا جسمانيًا ، والأعمال المتواضعة مثل تسليك المجارى والوقوف فى طابور الجمعية . ثم التقطه محمد شاكر وعينه « تباعا » على إحدى عربات النقل ، ثم ساع للجراج واكتشفت فيه أنصاف قدرة فائقة على سرعة تلبية ما يكلف به من طلبات فقربته إليها .

وفى إحدى الأيام حانت منها التفاتة إلى المرآة فرأت إبراهيم بكل نظراته الجائعة ينظر إليها من خلال غلالتها الرقيقة . . أعمتها المفاجأة والغضب فطردته من المنزل ولكنها أبقته فى الجراج ، وفى إحدى المرات صادفته وهو يغسل عربتها كان كأنه عابد يتنسك فى محرابه .

قالت له متسامحة :

- « هل تعلمت الأدب » .

- « خادمك أخطأ ويطلب العفو » .

- « كدت أكلم اللواء " عادل " ليؤدبك » .

- « غضبك علىّ كان أقسى من أى جزاء » .

- « كيف تجرأت . . . » ؟

هوى على قدميها يقبلها :

- « لا تحرمينى من رضاك » .

مدت يدها تبعده عن أقدامها ولكنها تركته جاثيا . . أحست بشىء يحرك مشاعرها . . كان فى حرارته شىء لم تعهده .

- « هل تستطيع تعلم قيادة السيارات » ؟

- « لو أمرت سيدتى لألقيت بنفسى فى البحر » .

- « أريد سائقًا خاصًا لى » .

وتمكن إبراهيم من قيادة السيارة فى مدة قصيرة . . وأصبح سائق أنصاف الخصوصى ورجلها المؤتمن على كل سر ، وأصبحت أنصاف لا تستغنى

عن نظرات العبودية التى كان ينشرها من حولها ، وكانت تطالع فى وجهه الوله المكبوت بجمالها ، وبين الحين والحين كانت تتشوق إلى كشف إحدى النظرات الجائعة التى كان يختلسها فى غفلة منها . . وفى بعض حالات الانفراد به كانت ترخى له حبل التبسط ؛ فيلين صوته فى عبودية وذلة العاشق المغلوب على أمره . وكان إبراهيم يكره اللواء عادل وأحست أنصاف بذلك ، ولاحظت أنه يتعذب فى كل لقاء يحدث بينها وبين اللواء عادل .

قالت له لترضيه :

- « إنها علاقات عمل ومصالح تفرض علينا اتصال الود » .

- « سيدتى من أنا حتى يكون لى رأى فى علاقات سيدتى . . إننى لم أصل حتى لدرجة الإنسان » .

عرفت أن ذلك أقصى ما يستطيع أن يحتج به وأصبحت تخفى عنه اتصالها باللواء عادل . . عندما

جاء محمد شاكر مذعورًا من مقابلة الحاج بكير بعد أن انكشفت علاقة مراد بسلوع بنت وديدة . . قالت أنصاف لإبراهيم :

- « آن الأوان لتفتح بيتًا وتتزوج » .

- « سيدتى أنا قانع بحالى » .

- « سوف تعجبك العروسة » .

فهم إبراهيم كل شىء .

قال لأنصاف :

- « سيدتى . . أنا فداء لمراد بك » .

- « ستكون رئيس الجراج كله لتتأهل للزواج » .

***

دخل إبراهيم مرحلة الزواج مضطربًا ، وكانت سلوع فى قمة جمالها ولكنها شىء آخر غير سيدته ومعبودته أنصاف . كان عليه أن يفرغ حرمانه فى محاولة لامتلاك سلوع ، التى واجهته فى أول الأمر ببرود واحتقار ولكنها بمرور الوقت أحست بحاجتها إلى لمساته النارية ، ثم اكتشفت بمرور الوقت طبيعة

التحدى الذى تواجهه ، فساعدتها طبيعتها العنيدة على اجتياز الحاجز بينها وبين إبراهيم ، وشيئا فشيئًا أحكمت قبضتها عليه ، وسعت إلى استعادته . ولم تخف أنصاف ضيقها بالتحول الذى حدث فى شخصية إبراهيم . كان أكثر أدبا وخضوعا ولكن النظرات الجائعة لم تعد تطل من عينه ، وحتى فى الحالات التى كانت تبدو فيها ساحرة المفاتن لم يكن نظره يعلو عن الأرض .

- « هل شغلتك سلوع عنا » ؟

- « أنا وزكية خُدامك ياسيدتى » .

فهمت احتجاجه الضمنى من إصراره على زكية بدلا من سلوع ، ولكن لم يطل الانتظار لتشفى غليلها ، فبعد خروج عطوة من السجن ذاق إبراهيم الأمرين من معاملة سلوع له . كانت تتصيَّد له الهفوات ولم تُجدِ محاولات أمها وديدة لإصلاح ذات البين ، وعندما تركت المنزل مدعية الغضب .قالت له أنصاف :

- « أزوجك ستها » .

- « لقد جربت حظى فى الزواج يا سيدتى » .
- « كن رجلا ولا تخضع لها » .
- « يصلح اللهالأحوال » .

عادت سلوع مرة أخرى إلى البيت بعد أن قُبض على عطوة فى قضية جديدة ، ولم يستطع إبراهيم أن يخفى فرحته بعودتها ، ولم تحاول سلوع أن تبرّر موقفها إمعانًا فى فرض الأمر الواقع عليه . وكان عليه أن يقتنع بدور الرجل الاحتياطى .

انغمس إبراهيم بكل كيانه فى إرضاء سلوع حتى دفعها إلى المزيد من الاستهانة به وبرغباته ، وكانت أول الأمر تلتمس الأعذار عندما تمتنع عليه ، ثم أصبحت لا تأبه بتبرير امتناعها عليه . وتواترت الأخبار تفيد بأن قضية عطوة الأخيرة قد قضى فيها بالبراءة ، فعادت سلوع إلى بيت أمها بعد خروج عطوة ، وفى هذه المرة لم تكلّف نفسها افتعال خلاف مع إبراهيم الذى تحول إلى الذهول والوجوم .

ولم يشكُ لأحد ولكن حاله كان يغنى عن

الشكوى . . فكَّر فى التصدى لعطوة ولكنه جبُن عند آخر لحظة .

ومن خطاب غفل من التوقيع علم محمود شقيق سلوع بالأمر ، وقيل إن الخطاب كان من أحد خصوم عطوة ، وقيل أيضا إنه من أحد زملاء إبراهيم من رجال محمد شاكر .

بعد مقتل سلوع بأسبوع ، ساء حال إبراهيم برغوت فكان كثير الصمت يميل إلى الانفراد بنفسه ، وطلب أن يُعفى من العمل فى الجراج ؛ فلم يعد يحتمل قيادة السيارات .

وفى يوم مقتل الحارث كان إبراهيم برغوت يجلس منزويًا أمام الجراج وكان هو الشاهد الوحيد لهذا الحادث ، ولكنه ظل على صمته فلم ينبس بكلمة لأحد .

وعندما ألحَّت عليه أنصاف أن يفتدى سيده مراد ، كان على أتم استعداد ، وذهب إلى قسم الشرطة ليعترف بأنه هو الذى كان يقود السيارة وليس مراد .

عندما واجهه وكيل النيابة :
- « أين كان مراد محمد شاكر وقت الحادث » ؟
- « كان يجلس بالسيارة خلفى » .
- « ولماذا كنت تقود سيارته » ؟
- « السيارة كانت فى الإصلاح وأنا الذى استلمتها من عند الميكانيكى ، ثم مررت على مراد بك فى طريق عودتى إلى المنزل ، وكان عند بعض أصدقائه » .
- « إذا كنت مرتكب الحادث ، فلماذا هرب مراد محمد شاكر » ؟
- « لأن السيارة كانت سيارته وأهل الحارث كانوا سيعتقدون بأنه هو الذى قتل ابنهم » .
- « هل لديك أقوال أخرى » ؟
- « أطلب حمايتى من أسرة الحارث » .

الحاج بكير متولى

كان الحاج بكير - جد الحارث وكبير العائلة ورئيس نادى الصعيد - أول من نزح من بلدته إلى الإسكندرية حيث عمل عاملا فى رصيف الفحم ، ثم استقدم بعض بلدياته وكون لنفسه فرقة ، ومع توافد البلديات تحول إلى مقاول من الباطن لدى الخواجة "جان عازورى " ، الذى كان يعمل مقاولا لدى مكتب الخواجة " رينيه " ، وظل يعمل مقاولا من الباطن حتى اختلف مع الخواجة جان عازورى فى مسألة تتعلق بالأمانة والشرف ؛ فانسحب من العمل . وفوجئ الخواجة رينيه بتوقف العمل تماما ؛ لأن مقاولى الباطن تخوفوا من الدخول محل المعلم بكير . وعلم الخواجة رينيه بأسباب الخلاف فأقصى الخواجة عازورى ليتعامل مباشرة مع المعلم بكير .

تزوج الحاج بكير من ترجى بنت شيخ البلد فى

قريته ، وعاد بها لتنجب له على التوالى : صديق وعبد الوارث ، وثلاث بنات تزوجن جميعا زيجات محترمة .

وعندما تزوج صديق كتب الأوناش باسمه ؛ ليجعله مقاول أوناش ، وعندما تزوج عبد الوارث كتب السيارات باسمه ؛ ليجعله مقاول سيارات .

ظل يتحسر على خلفة البنات التى رزق بها صديق أقرب ولديه إليه ، حتى رزق بمولود ذكر فسماه الحارث على اسم الحارث أبو سليمان شيخ بلدته وصهره .

عندما جاءه خبر الحارث ، ظل يعوى بصوت مكتوم ، ثم جاءه الفرج فانهمرت دموعه على لحيته البيضاء المخضَّبة وهو يقول « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

لازم الفراش أسبوعًا ، ثم خرج فى عربة ومعه صديق وعبد الوارث ؛ لزيارة الحسين والسيدة زينب ، ثم عاد إلى الإسكندرية ليخرج لصلاة العصر فقط فى مسجد الأباصيرى .

استدعاه مدير الأمن ليكلِّمه فى موضوع الصلح ، وكان الحج أحمد عبد المعبود رئيس لجنة المصالحات بنادى الصعيد حاضرًا .

ووجه مدير الأمن سؤاله إلى أحمد عبد المعبود :

- « لم تكن هناك نية قتل ياحاج عبد المعبود . . فالثأر لا يستحق أليس كذلك » ؟

قال الحاج عبد المعبود

- « عم الحاج بكير أعلم منى بهذه الأمور » .

فسكت الحاج بكير ولم يرد

كان الحاج عبد المعبود رجلا قوى الشخصية ، يعتز بشرفه وشهامته ، ويتميز بالصدق وعدم الانحراف عن الحق ، وكان يحفظ التقاليد جيدا ، يعد حجة فى عُرف المجالس ، وكانت الشرطة تعتمد عليه فى حل المشاكل المتعلقة بالثأر ، وكان إذا ما عرف بعدم صفاء النية نحو الصلح فإنه يرفض حضور المجلس ، وعندما علم بنية عبد الوارث رفض الاستمرار فى عملية الصلح ، ولكنه علم بحضور

الحاج بكير بنفسه عملية تقديم مراد الكفن فاضطر لحضور المجلس وهو متضرر . وكان حضور الحاج بكير بناء على ضغط الأمن .

ظل الحاج بكير يتجنَّب الحديث مع زوجته الحاجة ترجى بعد قبول الكفن ، وكان قد بقى على الذكرى السنوية للحارث أسبوع ، عندما دخل عليها قائلا :

- « شاء الله أن نقيم الذكرى السنوية للحارث ونأخذ العزاء . . هل لك طلبات » ؟

قالت ترجى وكان النبأ قد وصلها :

- « أكبر شادر . . ويقرأ الشيخ عبد الباسط عبد الصمد » .

الحاجة ترجى

على الرغم من أنها تخطت السبعين ، إلا أنها مازالت تحتفظ بحيوية العقل .. ترسم لكل شىء وتعطى الإشارة لأبنائها صديق وعبد الوارث ، أو الإيحاء للحاج بكير فتتحول هذه الإشارات إلى أمر واجب النفاذ ، وإذا غضبت قامت الدنيا ولم تقعد حتى ترضى .

عندما جاءها خبر الحارث ، نزعت غطاء رأسها ، فجاءها ابنها عبد الوارث وجلس تحت قدميها وعاهدها على الأخذ بالثار ، فحددت له الشمندى .

أرسلت فى طلب خضرة أم الحارث وابنة أختها لتعيش فى بيت الأسرة الكبير ؛ حتى لا تستقبل من يعزيها .

عندما دخلت عليها زينب زوجة الشمندى ، وأكبَّت على يدها تقبلها ، لم تسحب يدها ، وتركتها تلثمها طويلا ثم قالت لها :

- « ألا زلت تنامين فى حجرة زوجك يا شابة » ؟

فضربت زينب على صدرها وهى تقول :

- « وهل كان قد أخذ بالثار يا أم الرجال » ؟

فأشارت لها الحاجة ترجى بالنهوض ، وأجلستها إلى جوارها .

كان الحاج بكير قد منع خروج النساء للمقابر ، ولكن الحاجة ترجى طلبت زيارة قبر الحارث فأجيبت إلى طلبها ، واصطحبت معها خضرة وزينب . هناك طلبت من الشيخ مصطفى الحانوتى زرع شجرة على قبر الحارث .

الحاج صدِّيق بكير

عُرف الحاج صديق بأنه من الأشخاص الذين يلتزمون الحق والأصول .. يتكلم بهدوء وحكمة بليغة ، كلماته بصيغة الأوامر وكأنها غير قابلة للنقاش .

رُزق بالحارث على خمس بنات ، وأحسن تربيته حتى جعله مثالا للرجولة وأحسن رعايته حتى تخرج محاميا ، وكان يعده لتولى زعامة الأسرة والبلد .

تلقى خبر قتل الحارث بشجاعة ورباطة جأش .. وعندما انبعث الصراخ من المنزل أمر شقيقه الحاج عبد الوارث قائلا :

- « لا صوت يخرج من المنزل » .

عز عليه الدمع ، حتى اختلى به عبد الوارث فى حجرة الحارث وقال له :

- « فضفض يا أخى » .

وبعد جهد جهيد خرج الدمع مع زفرة حارة :

- « آه الأستاذ . . يا للحارث . . ياولدى . .
قتلك كلب » .

ثم سقط مغشيا عليه

عندما أفاق قام فتوضأ وصلى . . ثم خرج ليمشى فى الشوارع المظلمة ، وخلفه شقيقه عبد الوارث يتبعه كظله ، دون أن ينبس بكلمة .

خضرة

عندما دخل الحارث كلية الحقوق سميت خضرة بأم الأستاذ .

كانت الحاجة ترجى خالتها قد زوجتها بابنها الأكبر : صديق ، فعاشت معه حياة لم تنغصها سوى خلفة البنات ، حتى رزقت بالحارث فتحولت إلى محط أنظار الجميع ، وكانت الحاجة ترجى تقول عنه إنه سيعيد سيرة جده الحارث أبو سليمان .

تعودت خضرة أن تقرأ آية الكرسى سبع مرات قبل خروج الحارث من المنزل ، ثم تتحسس جبينه بيدها ، وقبل صلاة الجمعة كانت تدعه هو ووالده الحاج صديق يمران فوق مجمرة البخور ، ثم تقرأ الفاتحة ، و « قل أعوذ برب الفلق . . . » .

فى يوم مقتل الحارث ، كانت خضرة منشغلة مع

ضيفة جاءت إلى المنزل ، فلم تنتبه لخروج الحارث وانخطف قلبها عندما اكتشفت خروجه . ظلت تتمشى فى الحجرة ثم تتلصص من الشباك ، ويراودها إحساس أليم بالذنب .

ظلت خضرة فى غيبوبة لمدة أسبوع بعد الحارث ، ثم ذهبت إلى البيت الكبير .. كان وجهها جامدًا كالقناع ، فقدت قدرتها على النطق وكانت تفعل كل شىء بذهول . أخذها الحاج صديق لزيارة سيدى « المرسى أبو العباس » . وأحضر مقرئا لترتيل القرآن كل يوم فى المنزل .

ويوما أفاقت من ذهولها ، لتلقى بنفسها فى أحضان الحاجة ترجى وهى تقول :

- « نار فى قلبى ياخالة » .

وترد الحجة ترجى :

- « لن يحول العام حتى تبرد نارك » .

الحاج عبد الوارث بكير

كان عبد الوارث بكير يقدس شقيقه صديق ، ويحب ابنه الحارث ويعتبره فخر الأسرة والصعيد ، وكان له ثلاثة أبناء جميعهم لم ينالوا حظا من التعليم .. استقبل عبد الوارث مقتل الحارث برغبة جارفة فى الانتقام ، وصلت إلى حد الجنون ، وقام وأولاده بحرق سيارة مراد التى تركها بالطريق وهرب ، وبأمر منه توجّه رجاله إلى معرض والد مراد فحطموه عن آخره وأحرقوا الملابس المستوردة .

رفض عبد الوارث فكرة أن يأتى مراد حاملا كفنه كحل للتغاضى عن الثأر .. وإزاء تشدُّده طلب محمد شاكر أن يختلى به ، ولما اختلى به انحنى على يديه مقبلا .

قال له :

- « خذنى ثأرًا للحارث واترك ولدى » .

فرد الحاج عبد الوارث :

- « لا يؤخذ الشايب محل الشاب » .

وعندما انهار شاكر فى البكاء ، قال له :

- « وهل يعيد بكاؤك الأستاذ » ؟!

وحينما قال الحاج أحمد عبد المعبود « رئيس لجنة المصالحات بنادى الصعيد » للحاج صديق :

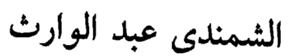
- « اقبل ياحاج أن يأتى الولد بكفنه .. فهذا الحادث ليس حادث ثأر ، لأنه لم تكن هناك نية للقتل » .

قال الحاج صديق :

- « قُتل الحارث يوم سالت النقود فى أيدى أراذل الناس .. الذى قتل الحارث هو من أعطى لمراد مفتاح السيارة ، وأسقاه الخمر . لو حكَّمونى لكان ثأرى مع هؤلاء .. ولكن التقاليد تقول أنه لا ثأر » .

تمتم عبد الوارث هامسًا وكأنه يحدث نفسه :

- « ومن قال إن هناك ثأرًا .. حادث سيارة فى مقابل حادث سيارة » .


الشمندى عبد الوارث

كان الشمندى عبد الوارث هو المرشَّح ليأخذ بثأر الحارث ، بصفة أن الحارث ليس له أشقاء ذكور .

وكان الشمندى على رأس مجموعة الرصد لتحركات مراد شاكر ، وكاد أن ينجح فى العثور عليه فى القاهرة قبل أن يغادرها إلى أخواله فى دمنهور ، ولكنه فشل فى العثور عليه بها .

كان الشمندى يكمن فى مكان قريب من ڤيلا شاكر بالعجمى ، على أمل أن يصادف عودة مراد لرؤية أمه ، وجنَّد معه فريقا لمراقبة الڤيلا مراقبة دقيقة .

كان والده عبد الوارث قد دخل المستشفى للهروب من جلسة الصلح وتقديم الكفن ، حتى لايخرج عن طوع والده وشقيقه الأكبر الحاج صديق ، وكان حضور جده الشيخ بكير كفيلا بإيقاف كل

المخططات ، حتى كان حفظ التحقيق مع مراد ، فأصبح دمه مطلوبًا ، والثأر محتمًا عليه .

كان الشمندى يعيش فى جو منزلى كئيب ؛ فامرأته محرمة عليه حتى يأخذ بالثار ، وأنظار الأسرة تتجه إليه فى حساب عسير ، والشرطة تراقبه مراقبة دقيقة .

طلب عبد الوارث

كان طلب أصغر أبناء الحاج عبد الوارث ، ولكنه كان عقل الأسرة المدبر . .

هزته فجيعة الحارث وعرض على والده أن يقوم بالثأر .

قال له يوما :

- « الشمندى له أولاد يا أبى وأنا بمفردى » .

- « الحق للشمندى يا ولدى » .

- « بعد الصلح ما عاد من حق يا أبى » .

- « الحاجة الكبيرة قالت الشمندى » .

- « نكلم الحاجة » .

- « لاتغضب شقيقك يا ولدى » .

استخدم طلب إمكانيات النقل فى متابعة البحث عن مراد وقت غيابه ، ثم جاء التصالح ليوقف إلى حين عملية الثأر ، حتى كان حفظ التحقيق مع مراد .

بقيت كلمات والده عبد الوارث ترن فى أذنه :

- « من قال إن هناك ثأرا . . حادث سيارة مقابل حادث سيارة » .

نعم هذه هى أسلم الطرق بعد الصلح .

ظل حلم الثأر للحارث يداعبه ، وحينما استقرت أسرة شاكر فى منزلها مرة أخرى كان طلب يتابع أحوالها . وحيث كان الحذر هو طابع تصرفات أسرة شاكر فكان الحذر فى عملية المراقبة والرصد ، حتى بدأت أسرة شاكر تتخلى عن حذرها وأصبح مراد يعود مرة أخرى وهو مخمور .

* * *

كان قد تبقى شهر واحد على الذكرى السنوية لوفاة الحارث عندما تبلورت الخطة فى ذهن طلب :

حدث عطل مفاجئ لإحدى سيارات النقل فى الشارع الجانبى المواجه لمنزل شاكر ، ثم جاءت سيارة أخرى ؛ لسحب المقطورة وأخذ حمولة السيارة .. ثم بدأت عملية عمرة للسيارة المعطلة لم يظهر خلالها سوى « الأسطى » عبده سائق السيارة .

بعدها بأسبوع حدثت معركة فى الميناء بين الشمندى وآخرين ، وتم حجزهم بقسم الشرطة ، وبدأت المفاوضة مع النوباتجية على مبيت الشمندى فى المنزل مع وعد بحضوره قبل الصباح . وعندما أقبل الليل كان الشمندى يجلس فى عربة النقل والموتور دائر ، وبجانبه الأسطى عبده سائق السيارة ، وعلى الجانب الآخر سيارة يجلس فيها عزت عبدالرحيم ؛ لتأخذ الشمندى إلى الحجز بقسم الشرطة بعد تنفيذ العملية ، وإحلال الأسطى عبده مكانه فى قيادة السيارة . . وكان طلب على المقهى وقد أعطى تعليمات مشددة بسرعة نقل الشمندى من مكان تنفيذ العملية . قبيل الفجر حضر مراد ، وأوقف سيارته واستعد للنزول اندفعت السيارة النقل بانحدار شديد من الشارع الجانبى لمنزل مراد . لمح مراد السيارة المندفعة . . جرى . . أفلت من مواجهة السيارة النقل . . جرى بأقصى ما يمكنه . . كان ينظر مروَّعًا خلفه حيث تكوَّمت سيارته بين الحائط وعربة النقل . . لم يلتفت إلى السيارة التى تعبر الشارع

الرئيسى ، والتى لم يستطع سائقها تفادى مراد المذعور . . وفى لمح البصر ، انطلقت صرخة مروعة ، أعقبها صوت ارتطام جسد مراد بالأرض .

وبخلاف المتفق عليه من طلب ، وقف الشمندى وسط الشارع بعد أن جلس الأسطى عبده محله فى السيارة . وصاح :

- « الله أكبر » .

وتقدم منه عزت عبد الرحيم ، سائق السيارة التى ستنقله إلى الحجز بقسم الشرطة ، ولكنه دفعه بعيدا عنه وهو لا يزال يردد :

- « اللهأكبر » .

قال عزت متضرعًا :

- « إنها أوامر المعلم طلب » .

فأجابه الشمندى باعتداد :

- « أوامر المعلم طلب لا تنفذ فى حق المعلم الشمندى » .

الفهرس

صدر مؤخرا عن (أصوات أدبية)

٢٦٨ – مكاشفات شخصية .... شعر : بهاء جاهين
٢٦٩ – أقانيم .... قصص : اسماعيل البنهاوى
٢٧٠ – مرايا الذات الأخرى .... رحلة : صبرى حافظ
٢٧١ – ديوان غزالى .... كابتن غزالى
٢٧٢ – الصنم .... رواية : أشرف الخمايسى
٢٧٣ – منازل القمر .... قصص : سُمية رمضان
٢٧٤ – مواقيت البهجة .... قصص : عزت القمحاوى
٢٧٥ – عضم خفيف .... شعر : سعدنى السلامونى
٢٧٦ – حافة الود .... رواية : نبيل نعوم
٢٧٧ – صانع الصدمات .... قصص : أسامة خليل
٢٧٨ – السبعة .... شعر : عادل عزت
٢٧٩ – عشرين سنة على سلم المترو .... شعر : حمدى عبد العزيز
٢٨٠ – ضرورة الكلب فى المسرحية .... شعر : جرجس شكرى
٢٨١ – نجع السلعوة .... رواية : أحمد أبو خنيجر
٢٨٢ – طائر الفخار .... شعر : محمود نسيم
٢٨٣ – كائنات هشة لليل .... رواية : صلاح والى
٢٨٤ – قبض الريح .... قصص : شحاته عزيز جرجس
٢٨٥ – أغادر جسدى .... شعر : أحمد السواركه
٢٨٦ – بعدين .... شعر : صلاح الراوى
٢٨٧ – الوفاة الثانية لرجل الساعات ...... رواية : نورا أمين
٢٨٨ – عبير الكمنجات .... شعر : عزت الطيرى



المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com



الهيئة العامة
لقصور الثقافة

فى ذلك اليوم أنهى الحارث عمله بالمكتب فى وقت متأخر ، وكانت كثرة القضايا وأحاديث الموكلين قد أرهقت ذهنه ، وهو ماجعله يؤثر ترك سيارته أمام المكتب ليعود إلى منزله القريب سيرا على الأقدام ؛ التماسًا لمتعة الهدوء فى الشوارع الخالية .. الهدوء يغلف الهواء بغشاء رقيق نافذ يلامس بؤر الإجهاد فى ذهنه المكدود فيذيبها .. لفترة قصيرة ظل يتسمَّع وقع خطواته على أسفلت الشارع الخالى .

الشركة الدولية للطباعة

الثمن : جنيهان